اساليب من الرجال

✡

في مجتمع العرب اليوم ، يقظة صحو لمّا تتفتق عن كل امكانياتها بعد ، ولكنها مهدت السبيل بين يدي تطور جديد ، ورسمت بعضاً من خطوط مداه .. ولعلنا نلمس او نحن نلمس بالفعل ، درجة هذا التطور في المجتمع العربي ، بتزايد متناقضاته وبتكيف كل طبقة من طبقاته في كيانها ووعيها تكيفاً صاعداً .

ففيه استوت واستقرت طائفة من القوى المادية ،وهي عامل مباشر على تطويره ونضج هذا التطوير ، والانتقال به من مرحلة معينة الى مرحلة اكثر تقدماً .

وهناك الافكار ايضاً .. وهي برغم انبعاثها من واقع المجتمع وصدورها عن اوضاعه ، فانها تتحول بالتالي الى قيم مطلقة .. ثم لا تلبث ان تستحيل خلال تفاعلها مع فئات المجتمع وطبقاته ، وخلال تفاعلها مع اوضاعه وتأثيرها فيه — قوة موجهة بل قوى منشئة خالقة .

فان من شأن هذه الافكار — اصدرت عن المجتمع او انبعثت من حركته التطورية ، او انعكست من كفاح متناقضاته بعضاً في بعض ، او تفاعل عناصره — انها تنفس عن وعي الجماعات وماهية وجودهم ، وتكشف في الوقت نفسه عن المواطن العفنة من المجتمع .

ولعل ظاهرة المتناقضات ، لم تعلق بمجتمع ما مثلها في المجتمع العربي الحديث : ان في الافكار او في تطور الطبقات على نفسها ، ولا سيما في حدود الطبقات الشعبية التي من طبيعتها دوماً ان تتقدم بالمجتمع وان تحرره من اوضاعه المريضة.

وعمق هذه الظاهرة وعنفها ، يدلاننا على مدى التطور الناشب في المجتمع وعمقه وشدة التفاعل فيه .

وكان من خطوط هذا التحول الجديد ، ان النظام الاقطاعي الذي عاش اجيالا عندنا بفتكاته وسمومه ، اضحى متخلخلا اليوم .. والشعب لم يعد مقسما الى جماعات ترتكز كل جماعة منها ، اما على اساس اعتبارات دينية او اعتبارات اخرى من شرف او جاه ، والعلاقات بين العمال واصحاب العمل مالت ميلا عفوياً الى التحسن والتنظيم المستمد من الواقع الاجتماعي العام ومن النظم التي انبثقت عنها عصور المدنية .

ولقد كان من نشاط القوى المحركة في المدينة والقرية ، ما حمل الشارع العربي هنا وهناك ، على التفكير مكرهاً في اتخاذ ما ينبغي اتخاذه من نظم وقوانين : تتصل بالاعداد الفني والمهني ، وتشغيل الاحداث وزيادة الاجور والتعويض والشيخوخة العاملة وحماية الاسرة ورعاية الطفولة ومكافحة التشرد ، والمحاكم الخاصة بالاحداث والتعليم الاجباري.

وبتعبير عام شامل ، في المجتمع العربي الحديث تطلّع جدي يتناول مختلف التأمينات الاجتماعية ، كما نحس لدى الشعب ميل حاد الى نظام صناديق الاسعاف النقابية والحرفية او العائدة الى جمعيات تعاونية .. هذا النظام الذي لا بد من ان ينتشر شيئاً فشيئاً حتى يشمل كل ميادين الحياة العامة، ويكون طليعة عهد بالتأمينات الاجتماعية كما يجب ان تفهم وان تطبق.

ونحن اذا اعطينا لانفسنا الفرصة الكافية للتعمق بدرس هذا التطلع الشعبي في مرحلته الجديدة ، وبمراقبة شعوره الوليد بمسؤولياته نحو المجتمع ونحو الدولة .. اقول اذا نحن فعلنا ذلك ، ندرك مبلغ الحاجة الى اساليب جديدة من الحكم تعين عمل التطور وترسّخ معطياته وآثاره ، وندرك بالتالي مبلغ الحاجة الى اساليب جديدة من الرجال ، يحوطون هذا الواقع الجديد دون عوامل الرجعة او الذبول .

أساليب من الرجال ، يفهمون السياسة لا على انها حرفة تعني البراعة في التخدير ، بل على انها رسالة تثقيف تعني البراعة في التنوير .. وعهدي وعهدك بحديثهم في عدد مقبل .

عبدالله العلايلي

الرجل الذي كان يعشق الموسيقى

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبردج

هذه قصة غريبة يكاد المرء حالما يسمعها يقول: ان قصتك يا هذا مستحيلة، وسواء اصدقها القارىء ام لا فانني لا احجم عن روايتها ثانية، وسأرويها لك كما رويتها لغيرك، ولك ان تصدق او لا تصدق.

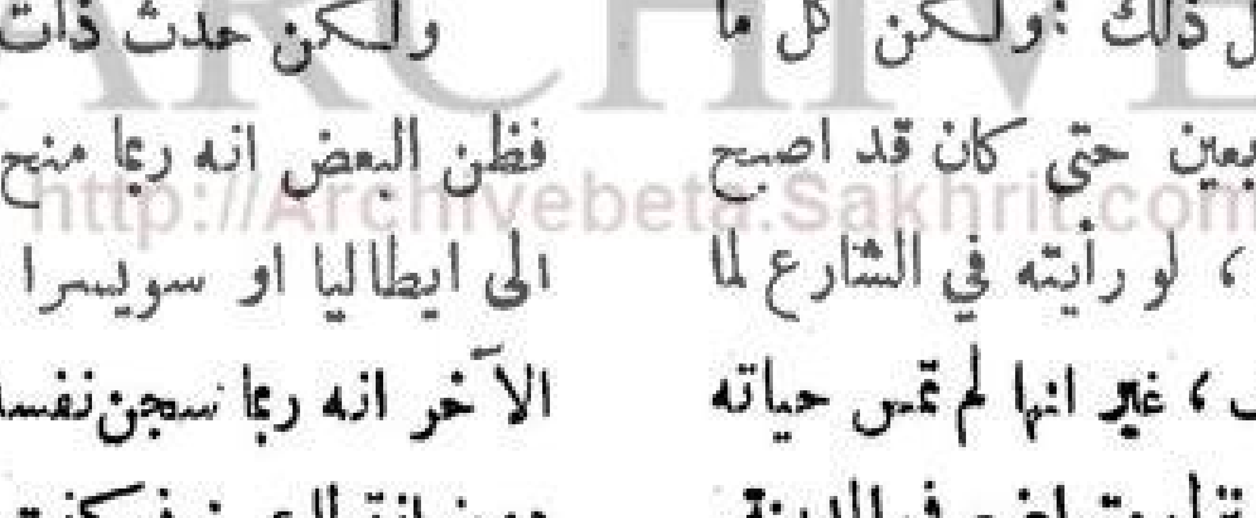
وبطل القصة رجل كغيره من الرجال الذين تراهم وتصطدم بهم كل يوم في شوارع المدينة. لا يفرقه عن غيره من الناس جمال، او اناقة، او بهاء طلعة. انه رجل بدأ حياته فقيراً ثم اثرى. وكغيره من الناس سعى في طلب الثروة ليل نهار، ولعله لم يحجم في كثير من الاحيان عن التدليس والخداع في سبيل ذلك: ولكن كل ما اعرف هو انه ولد معدماً، ولم يبلغ الاربعين حتى كان قد اصبح من ارباب الاموال ومع ذلك، كما قلت، لو رأيته في الشارع لما ميزته عن غيره: تراكمت ثروته في المصارف، غير انها لم تمس حياته بشيء يذكر. فقد بقي عائشاً وحده في منزل متواضع في المدينة. ولم يحاول قط ان يستغل الثراء في سبيل الجاه. ولم يأبه يوماً بما يقوله الناس عنه عندما علموا بثروته.

غير ان اثنين او ثلاثة من المقربين اليه بحكم الاعمال التي درت عليه امواله، كانوا يترددون عليه في منزله. ولم يكن عنده في المنزل ما يلفت النظر الا مجموعات من الاسطوانات الموسيقية التي كانوا يعجبون لعنايته بها. بل انهم كلما تحدثوا عنه، وعن بساطته في العيش واهماله لشؤون الحياة، كانوا لا ينفكون يلهجون بالتعجب من ان رجلاً مثله، لم ينل من الثقافة العالية شيئاً، يهتم بالموسيقى على هذا النحو. ثم يتعجبون اكثر فيقولون: وكيف يستطيع رجل، اولع بهذه الاصوات التي تحطم السمع احياناً بعنفها ولذتها، ان يستمر في اعماله المالية، بل يصبح ذا ثروة طائلة كثروته؟ عهدنا بالفنانين يؤثرون عرائس فنونهم على الدنيا وما فيها، واذا حاولوا العمل يوماً كانوا من المخفقين.

مهما يكن من امر، فان صاحبنا لم يجد من متعة في الحياة — كما يبدو — الا اذا جلس في غرفة امتلأت بالاسطوانات، ليستمع على غرامافون كهربائي الى قطعة إثر اخرى من آثار الموسيقيين: وما اكثرها! عليك بفهرست من فهارس مصانع الاسطوانات، تعجب للعدد الهائل الذي يمكنك ان تقتنيه منها، لو كنت تستطيع ان تغترف من اموال كثيرة كأموال بطل هذه القصة.

ولكن حدث ذات يوم ان اختفى صاحبنا فجأة من المدينة، فظن البعض انه ربما منح نفسه اجازة لاول مرة في العمر، فذهب الى ايطاليا او سويسرا ليقبل على لذائذ الحياة، وظن البعض الآخر انه ربما سجن نفسه طائعاً في اعماق بيته ليستمع الى الموسيقى دون انقطاع: فكنت ترى البعض احياناً يلصق اذنه بفجوة في باب داره لعله يسمع نغمة من داخله، ثم يتراجع مقسماً بانه سمع نغمة موسيقية اشبه بالصدى من مكان بعيد..

ولكنه في حقيقة الامر ذهب بصحبة احد المهندسين الى مكان في الجبال الشمالية، يبحث عن بقعة على رأس قمة شاهقة يبني عليها داراً لنفسه.. وان هي الا سنة او اكثر بقليل حتى تم له ما اراد. فعاد الى المدينة، ورآه الناس بين ظهرانيهم من جديد. فكان يحيي الجميع، ولكن في كثير من التحفظ، كأنه يخشى ان يتقربوا منه اكثر مما يود. واذا هو ذات صباح ينقل صناديق خشبية عديدة (قيل انها رزم فيها اسطواناته التي لا تحصى) الى سيارة شحن ضخمة، وتنطلق به السيارة الى مقره النائي بين المرتفعات الصخرية السامقة التي كثيراً ما تستقر عليها الغيوم.



وهناك بعيداً عن الناس بآلامهم وافراحهم ، بعيداً عن المنازل المتراصة بعضها فوق بعض ، والشوارع المزدحمة بباعتها ومتسوليها وسياراتها ، هناك بين اوكار النسور عزم صاحبنا ان يعيش ، لا يرى حوله الا رؤوس الجبال المدببة ، والصخور الجرداء ، والهاويات الرهيبة : قريباً من السحب وجاراً للنجوم

ولم يكن البيت الذي ابتناه هناك مجرد كوخ بسيط . بل كان اشبه بالقصر رغم صغره ، عامراً باسباب الراحة وكمالياتها ، وفيه مولد للكهرباء لكي لا ينقطع عن استعمال غرامافونه الكهربائي الدقيق التركيب .

وفي هذا المكان العجيب وقف صاحبنا حياته على الموسيقى . وكثيراً ما كان البعض يرون في الليل ضوءاً بعيداً يشع من على رأس الجبل فيقولون . . انه لم ينم بعد . . وبعد بضعة اسابيع جعل بعض القرويين ممن كانوا يضطرون الى تسلق جزء من الجبل يقولون : انهم يسمعون الانغام حتى عن ذلك البعد السحيق ! فظنوا ان ذلك لم يكن منهم الا وهماً — وقد غدا صاحبنا موضوعاً للتخرصات والخرافات غير انهم جعلوا يخرجون جماعات ويصعدون على رابية قريبة ليستوثقوا الامر ، فاذا الانغام لا مرية في وجودها : انها لتنحدر من على الصخور المنيفة وتنبث في الاودية .

والحقيقة هي ان صاحبنا لم يكتف بما فعل ، بل احضر عدداً من المكبرات الصوتية الضخمة ، وركبها في اماكن مختلفة من الجبل . فأذا ما عزف اسطوانة ، انطلقت الموسيقى في ارجاء المرتفعات الفسيحة ، وجعل الهواء يلعلع بالالحان ، كأن مئات الملائكة قد هبطت من السماء بمعازفها ، لتعزف له وهو يتجول بين الصخور .

وفي يوم من الايام وضع في الغرامافون الاوتوماتيكي اسطوانات كثيرة للموسيقي العظيم « يوهان سباستيان باخ » — وكان هذا احب الموسيقيين الى قلب صاحبنا ، يرى في توالي انغامه الهندسية التركيب بحث النفس الانسانية عن الخلود والازلية .

« يقولون ان الموسيقى كثيراً ما ترمز الى مثل هذه الاشياء الغامضة » ثم خرج صاحبنا من المنزل ، وقد أعمل المكبرات الصوتية كلها على اعنف ما تكون ، وراح يركض بين الحجارة على شفا الهاويات والاخاديد ، وشعره يتطاير في الهواء العاصف ، والعواطف تتلاطم في صدره ، تسوقه الى البحث عن ذلك الذي كان يسعى في طلبه طيلة حياته وهو لا يدري : الخلود . وشعر ان الانغام تساعده وتؤازره ، وانه سيحصل بها على تلك القوة التي سيجابه بها الزمن منتصراً ، فلا تحول نفسه ولا تتغير ، وتبقى في نشوة ابدية . وبينما كانت الجبال والسماوات تتجاوب الالحان المدوية ، القى صاحبنا بنفسه في اخدود عميق على صخور ناتئات الاطراف ، فمات في الحال ، وانطلقت روحه الى الفراديس العلوية .

وقد سمع القرويون الذين كانوا في اسفل منحدرات الجبل ذلك اليوم موسيقى عجيبة ، استمرت مدة طويلة دون انقطاع . غير انهم في الايام التالية لم يعودوا يسمعون شيئاً مطلقاً مما أثار دهشتهم ، ولم يعودوا يرون النور يشع من اعلى الجبل في الليل ، فظنوا ان صاحب المكان لعله غادره . غير ان خشخشة غريبة لم تنقطع لايام كثيرة وكان الجو مشحوناً بها أثارت فضولهم اكثر من تلك الانغام التي سمعوها فيما مضى . كانت خشخشة مزعجة ، صبروا عليها بضعة ايام على مضض ، وهم يلغطون باعجب التقولات والتعليلات بشأنها . الى ان تشجع نفر منهم ، وعزموا على الصعود الى الدار المهجورة ليعرفوا سر ذلك الصوت ، وليروا القصر عن كثب .

لقد قضوا في تسلقهم زهاء يوم كامل ، ولم يبلغوا هدفهم الا قبيل غروب الشمس . فرأوا منزلاً جميلاً مشرع الابواب ، دخلوه بادىء الامر متهيبين ، وقد أثار الفضول أعصابهم ، كأنهم يدخلون بيتاً للجن . بيد انهم وجدوا الجدران مكسوة برفوف محملة بالاسطوانات — وفيما عدا ذلك ، لم يكن هناك ما يفرق الدار عن اي دار اخرى في المدينة . وفي وسط اكبر الغرف واجملها رأوا صندوقاً ، اقترب منه احدهم بحذر شديد ، ثم فتحه . واذا هو مملوء بقصاصات ورقية صغيرة ملونة ، دهشوا جميعاً لوجودها هناك ، واذا احدهم يصيح فجأة : « جنيهات ، جنيهات !! » .

لقد كانت تلك قصاصات جنيهات ، وكان الصندوق مملوءاً بها . فلما غمسوا ايديهم في ذلك المال الممزق ، وجدوا غلافاً فيه رسالة كتب فيها : « قضيت عمري في جمع هذه الاوراق ، وهي كل ما تبقى لدي بعد ان انفقت ما انفقت ، وقدرها خمسون الف جنيه .

« وقد احتقرتها ، واحتقرت الذين قضوا حياتهم مثلي في ملاحقتها ، وها انا امزقها لكي لا تكون طعماً لاحد من جديد ، او سبباً في شقائه .

« وحالما انتهي من تمزيقها ساخرج مع انغام « باخ » الى الصخور التي لم يلطخها طمع البشر ، ولن اعود ، لانني سأقدم نفسي طعاماً للنسور . وسوف تحلق النسور ابداً عند اذيال ثوب الله » .

اما الخشخشة فقد اكتشفوا انها صادرة عن مكبرات الصوت المنبثة في انحاء الجبل . واتفق انهم ما كادوا يكتشفون المولد الكهربائي حتى كان ما في خزانه من بترول قد نفد ، وللحال توقف المولد عن العمل ، وصمتت المكبرات .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

اضواء من بعيد

بقلم سيد قطب

الفرق
بعيد، جد بعيد، بين ان نفهم الحقائق، وان ندرك الحقائق. وان الاولى هي العلم، والثانية هي المعرفة.

في الاولى نحن نتعامل مع الفاظ ومعاني مجردة، او مع تجارب ونتائج جزئية. وفي الثانية نحن نتعامل مع استجابات حية، ومدركات كلية.

في الاولى ترد الينا المعلومات من خارج ذواتنا، ثم تبقى في عقولنا متميزة. وفي الثانية تنبثق الحقائق من اعماقنا، يجري فيها الدم الذي يجري في اوشاجنا، ويتسق اشعاعها مع نبضنا الذاتي.

في الاولى توجد « الخانات » والعناوين: خانة العلم وتحتها عنوانات فروعه وهي شتى. خانة الدين وتحتها عنوانات فصوله وابوابه.. خانة الفن وتحتها عنوانات ومناهج واتجاهات. وفي والثانية توجد الطاقة الواحدة المتصلة بالطاقة الكونية الكبرى، يوجد الجدول السارب، الواصل الى النبع الاصيل.

في الاولى نحن رواد في هذا الكون، نلاحظ المشاهد، ونسجل النتائج. وفي الثانية نحن قطرات من الخضم، تحس وتستجيب لكل خفقة في قلب الكون الكبير.

نحن
في حاجة ملحة الى المتخصصين في كل فرع من فروع المعارف الانسانية، اولئك الذين يتخذون من معاملهم ومكاتبهم صوامع واديرة، ويهبون حياتهم للفرع الذي تخصصوا فيه، لا بشعور التضحية فحسب، بل بشعور اللذة كذلك. شعور الفنان الذي يهب روحه لالهه وهو فرحان.

ولكننا مع هذا يجب ان ندرك ان هؤلاء ليسوا هم الذين يوجهون الحياة، او يختارون للبشرية الطريق.

ان الرواد كانوا دائماً وسيكونون هم اصحاب الطاقات الروحية الفائقة. هؤلاء هم الذين يحملون الشعلة المقدسة، التي تنصهر في حرارتها كل ذرات المعارف، وتنكشف في ضوئها طريق الرحلة، مزودة بكل هذه الجزئيات قوية بهذا الزاد وهي تغذ السير نحو الهدف السامي البعيد.

هؤلاء الرواد هم الذين يدركون ببصيرتهم تلك الوحدة الشاملة المتعددة المظاهر في العلم والفن والعقيدة والعمل، فلا يحقرون واحداً منها، ولا يرفعونه فوق مستواه.

الصغار وحدهم هم الذين يعتقدون ان هناك تعارضاً بين هذه القوى المتنوعة المظاهر، فيحاربون العلم باسم الدين او الدين باسم العلم، ويحقرون الفن باسم العمل، او الحيوية الدافقة باسم العقيدة المتصوفة. ذلك انهم يدركون كل قوة من هذه القوى منعزلة عن مجموعة القوى الاخرى، الصادرة من النبع الواحد، من تلك القوى الكبرى المسيطرة على هذا الوجود.

ولكن الرواد الكبار يدركون تلك الوحدة، لانهم متصلون بذلك النبع الاصيل، ومنه يستمدون.

انهم قليلون في تاريخ البشرية. بل نادرون. ولكن منهم الكفاية، فالقوة المشرفة على هذا الكون هي التي تصوغهم، وتبعث بهم في الوقت المقدر المطلوب!

الاستسلام
المطلق للاعتقاد في الخوارق والقوى المجهولة خطر، لانه يقود الى الخرافة، ويحول الحياة كلها الى وهم كبير.

ولكن التنكر المطلق لهذا الاعتقاد، ليس اقل خطراً، لانه يغلق منافذ المجهول كلها، وينكر كل قوة غير منظورة، لا لشيء. الا لانها قد تكون اكبر من ادراكنا البشري في فترة من فترات حياتنا. وبذلك يصغر من هذا الوجود — مساحة وطاقة وقيمة كذلك — ويحده بحدود « المعلوم » وهو الى هذه اللحظة — حين يقاس الى عظمة الكون — ضئيل جد ضئيل.

ماري

صورة وصفية

بقلم وديع فلسطين

حيرة محيرة تستبد بي صبيحة كل يوم ، ففي الخزانة عشرات من ربطات العنق ، تزهو كل منهـا على اترابها ، ولا بد من انتقاء واحدة تتسق مع سائر الهندام ، ولا بد من دقائق تضيع بين المفاضلة والمقابلة والموازنة . الربطة الحمراء مثلًا تتجلى فتنتها على الرداء الرمادي الفاتح ، والربطة الزرقاء تليق على البذلة القاتمة ، والربطة البيضاء تزين القميص الداكن والربطة ذات الاشعاع والوميض تستبقى للامسيات ، والربطة الاسبانية الخضراء ذات الشرائط الحمر ، تحلو على السترة البيضاء .

انها حيرة ، ولكنها محببة . محببة لان للاناقة فلسفة لا يحسنها الا من خالط كبار الناس وخاض خضم مجتمعـاتهم ، وشاركهم في سهراتهم وحفلات استقبالهم ، واخذ عنهم في غير تقليد اعمى او محاكاة صماء . وهي محببة كذلك ، لان هـذه الربطات جميعاً اختارتها يـد بضة تستأهل اللثم ، واختارتها لا من شرق ضـارب في شرقيته ولا من غرب مغرب في غربيته ، بل من عواصم العالم التي يحج اليها عاشقو الاناقة . وصاحبة هذه اليد — مـاري — تحب التطواف والتجوال ، وتركب الطائرة عشرات من المرات في العام ، وتركب البحر قليلًا ، فهي لا تحب الحياة الرتيبة ذات الوتيرة النظيمة ، بل تهوى حيـاة الظعن

ان حياة الانسان سلسلة من العجز عن ادراك القوى الكونية ، او سلسلة من القدرة على ادراك هذه القوى كلما شب عن الطوق ، وخطا خطوة الى الامام في طريقه الطويل .

ان قدرة الانسان في وقت بعد وقت على ادراك احدى قوى الكون التي كانت مجهولة له منذ لحظة ، وكانت فوق طاقته وفوق ادراكه في وقت ما ، لكفيلة بان تفتح بصيرته على ان هناك قوى اخرى لم يدركها بعد ، لانه لا يزال في دور التجريب .

ان احترام العقـل البشري ذاته لخليق بان نحسب للمجهول في حياتنا حسابه . لا لنكل اليه كل امورنا ، كما يصنع المتعلون بالوهم والخرافة ، ولكن لكي نحس عظمة هذا الكون على حقيقتها ، ولكي نعرف لانفسنا قدرها في هذا الكون العريض .

وان هذا لخليق بأن يفتح للروح الانسانية كوى كثيرة للمعرفة ، وللشعور بالوشائج التي تربطنا بالكون من داخلنا ، وهي بلا شك اكبر واعمق من كل ما ادركناه حتى اليوم بعقولنا ، بدليل اننا ما نزال نكشف في كل يوم عن مجهول جديد ، واننا لا نزال بعد نعيش !

من الناس في هذا العصر من يرى في الاعتراف بعظمة الله المطلقة غضاً من قيمة الانسان ، واصغاراً لشأنه في الوجود كأنما الله والانسان ندان يتنافسان على العظمة والقوة في هذا الوجود !

انا احس انه كلما ازددنا شعوراً بعظمة الله المطلقة ، زدنا نحن انفسنا عظمة ، لاننا من صنع إله عظيم .

ان هؤلاء الذين يحسبون انهم يرفعون انفسهم ، حين يخفضون — في وهمهم — الههم — او ينكرونه ، انما هم المحدودون الذين لا يستطيعون ان يروا الا الافق الواطي القريب .

انهم يظنون ان الانسان انما لجأ الى الله في ابان ضعفه وعجزه ، فأما اليوم فهو من القوة بحيث لا يحتاج الى إله ! كأنما الضعف يفتح البصيرة والقدرة تطمسها !

ان الانسان لجدير بان يزيد احساساً بعظمة الله المطلقة كلمـا نمت قوته ، لانه جدير بان يدرك مصدر هـذه القوة ، كلما نمت وتفتحت في كيانه .

ان المؤمنين بعظمة الله المطلقة لا يجدون في انفسهم ضعة ولا ضعفاً ، بل على العكس يجدون في انفسهم العزة والمنعة ، لان مجال عظمتهم في الارض وبين الناس ، فهي لا تصطدم بعظمة الله المطلقة في هذا الوجود . . ان لهم رصيداً من العظمة والعزة في ايمانهم العميق ، لا يجده اولئك الذين ينفخون انفسهم « كالبـالون » حتى ليغطي الورم المنفوخ عن عيونهم كل آفاق الوجود .

كاليفورنيا - امريكا

سيد قطب

والسفر ، واينما حط بها الركب ، كان حتماً عليها – كأنه تكليف – ان تتخير من واجهات المحال اجمل ما فيها من ربطات عنق لتهديها الى صاحبها قاطن القاهرة .

وقد يطلق الناس اسماء على كل جرو يمرح في الحديقة ، وقد يسمون الهرة بأسماء اعلام ، ولكنهم لا يسمون ربطات العنق باسماء . اما خزانتي ، فهي تشذ عن ذلك فتجعل لكل ربطة اسماً معزواً الى مصدرها : فهذه ربطة باريس وتلك ربطة مدريد ، وهاته ربطة روما وذي ربطة بيروت ، وجميعها ربطات ماري رد الله غربتها .

ذات سليقة خاصة في حياتها ، لانها شخصية لا تتكرر . « فماري » تحب الناس كثيراً ، ولكنها تحب العيش وحدها . وماري تحب العمل الكثير المجهد المرهق ولكنها تكره ذلك لاصحابها والاثيرين عندها . وماري تهوى الترحال وركوب مطية الهواء ، ولكنها تمقت ان يرحل عنها اصدقاؤها او ان يخاطروا بركوب سفينة الجو . وماري تحب الناس يحجون الى دارتها الوشيقة ، ولكنها لا تحب الحج الى دور الآخرين . وماري تطعم ضيوفها من كل لون وكل صنف ، ولكنها تحرم نفسها لذة المطعم لان امعاءها – كأمعائي – تشكو العلة ، ولان اطباءها – كأطبائي – يزجرونها عن الغذاء الكثير المقومات .

وماري تقسو على نفسها وتعنفها في غير رفق ، ولكنها تحنو على رفاقها في افراط سخي ، وقد يحسبها الناس بغير قلب وبغير مشاعر لانها قلما تسفر امامهم بعاطفتها المكبوتة ، ولكنها اذا خلت لنفسها فجرت هذه العاطفة تفجيراً ، وسكبت دمعها سكيباً ، وفرجت عن كربها بمناجاة النفس والتماس العون من صور القديسين التي تطل من جدران غرفتها .

تالله ما اكبر قلبها ، فقد كفكفت بمنديلي مغرورق دمعها السيال لانها فقدت اباً روحياً . وليس هذا الاب من الاقرباء حتى تتفجر العاطفة هكذا ، ولكن ماري أدرجته في زمرة الاقرباء وافراد الاسرة لانها ترى ان الاسرة تصنع ولا تخلق ، تصنع من الصحاب الذين ينتقيهم المرء بنفسه وبحريته المطلقة ، ولا تخلق من ارحام واصلاب واعراق ووشائج قربى .

وقد ألفت الا احكم على الناس من النظرة الخاطفة او المقابلة العارضة او الحديث العابر ، ودربت نفسي على احترام الناس جميعاً حتى الذين يزدرون انفسهم بانفسهم . ولذلك تحفظت في الحكم على ماري من اول لقاء خشية ان يكون الحكم جائراً مبتسراً . فقد كان مظهرها يوحي بخشونة غير مشهورة عن بنات جنسها وكان كلامها اقرب الى الامر منه الى الرجاء ، وكان حديثها مشبعاً بروح عدوانية (agressive) ولكن الخبرة الطويلة ، والمعرفة الوثيقة والصداقة المتأصلة بددت هذه الغمائم الطافية ، واظهرت ماري على حقيقتها : فتاة ذات وفاء قل مثيله ، وذات وداد يعتز به ، وذات سجايا تغبط عليها ، وذات قلب كبير يعرف كيف يخاطب القلوب ، وذات طيبة متغلغلة في ثنايا النفس ، وذات ايمان عميق بالمعنويات والروحيات تركن اليه كلما واجهت امراً معسراً ، او صادفت عقبة كأداء .

اما مظاهر الحدة والشدة ، وقالب الصلف والكبرياء ، واسلوب الامر والنهي ، فهي كالدرقة حول السلحفاة تدرأ عنها المفاجآت الغادرة وتقيها من كل غرض مسف .

وان ماري لا تعيش هباء ، ولا تقطع ايام عمرها بالتسلية والتزجية ، ولا تحيا حياة التبلد والجمود . فلها في الحياة رسالة تؤديها ، وهي عاكفة على ادائها . فهي وقد عاشت في الغرب كثيراً ، وعاشت في الشرق كثيراً ، تريد لهذا الشرق ان يستوعب فضائل الغرب . هي لذلك تأبى ان تكون المرأة مجرد وعاء للنسل او خادمة للبيت او مرضعة لجيش جرذان من الولدان . وهي لا تريد لاهل الشرق ان يعيشوا في قمقم من تقاليدهم المتوارثة من جيل الى جيل ، وهي لا ترضى للشرق بالاستكفاء الذاتي والعيش على الماضي – مجيداً كان او غير مجيد – وهي لا تنشد للشرق حياة الدعة والخمول والنوم فيغدو كل شرقي شيخاً قرير العين « مع الاعتذار للاستاذ كرم ملحم كرم » . كلا انها ما تريد ذلك ، وانما تريد العالم ان يكون واحداً ، وتقول للشرق : امد يمينك الى الغرب لانك غارق في لجة من الجهالة والتخلف ، وتقول لابناء الشرق : تعلموا السماحة من اهل الغرب ، وخذوا منهم المعرفة التي سبق لهم ان اخذوها منكم ، وتطلعوا الى روما وباريس ولندن وفينا ومدريد لتقبسوا من اضوائها ما يبدد ظلماتكم ، وعيشوا حياة صناعية اقتصادية ولا تجعلوا من بلادكم مجرد ضياع وحقول ومراع .

هذه رسالة ماري العامة . اما رسالتها الخاصة ، فهي ان تعيش لاصدقائها وتحيا لهم . وقد بذلت في سبيل اصدقائها كثيراً ، وضحت في سبيل اسعادهم بكثير ، ولكن هذا البذل وتلك التضحيات لم تضع هباء ، لان على صدرها اليوم رصيعة من خالص الذهب منحت لها في حفل كبير مع حشد من ذوي الرتب والالقاب والمناصب تقديراً لما اسدته من خدمات مقدورة معترف بها مشكورة عليها . رد الله غربتك يا ماري .

القاهرة وديع فلسطين

صفات امريكية

مربٍّ امريكي يشرح لطلبة عرب عشرة مبادىء
اساسية تتصف بها الحياة الامريكية الحقة

بقلم حبيب ابراهيم كاتبه

لقد تضاربت الآراء في فهم الحياة الامريكية وتقدير معنوياتها . فهذه الامة الامريكية التي تعد بحق اقدم امة ديموقراطية في التاريخ الحديث هي ذات عناصر مختلفة وثقافات متنوعة وفلسفات في الحياة متضاربة واهداف متباينة . ولكنها بالرغم من ذلك هي وحدة حية نامية نشيطة . بل هي اليوم افلح امة واعظم دولة وابرك بلاد على سطح الارض اذا اعتبرت فيها جميع وجوهها . فما هي العناصر النفسية التي جعلتها كذلك ؟ وكيف تستفيد الامة العربية الفتية المتسكعة في دياجي تجربتها الحديثة من اختبارات امريكا ، على تناقضها الفاضح ومغالطاتها المدهشة ؟

قد يصيب الناقد كبد الحقيقة بالتحليل والتعليل وقد يضل . ولكن لا حرج عليه ان هو عدد المبادىء الامريكية البارزة التي اجمعت الآراء على انها اساس نجاح هذه البلاد معرضاً عن التحليل والتعليل . وهذا ما فعله امريكي عريق بامريكيته خبير باحوال بلاده في خطاب القاه امام جمهرة من الطلبة الامريكيين في «البيت الدولي» التابع لجامعة كولومبيا في نيويورك . اما الخطيب فهو الدكتور بايارد دودج الرئيس السابق للجامعة الامريكية في بيروت الذي سلخ ما ينيف على ربع قرن في خدمة العلم والفضيلة في سوريا ولبنان والاقطار العربية كافة . لذلك هو رجل خبر الشرق ايضاً واصبح من القلائل الذين يصح ان يقال فيهم انهم خير اداة للتفاهم الروحي بين الشرق والغرب .

وقبل ان انقل الى القارىء العربي ما استخلصته من خطاب هذا المربي الامريكي الفذ استميح القراء بمراجعة وجيزة عن العائلة الكريمة التي ينتمي اليها الدكتور دودج للتدليل على تأصله في امريكيته وحجته في الكلام عن المبادىء او الصفات الامريكية المؤهلة للحياة الديموقراطية .

بايارد دودج هو ابن تاجر وصناعي محسن اسمه كليفلند دودج لمع اسمه في العقد الاول من القرن العشرين لانه كان من انصار الرئيس ولسن الذين دعموا ترشيحه لرئاسة الولايات المتحدة . وفي اثناء الحرب العالمية الاولى عندما حلت النكبة بالارمن بذل اموالا طائلة في سبيل اغاثتهم واغاثة غيرهم من شعوب الشرق الادنى . وكان من اكبر انصار جمعية الشبان المسيحيين وفي طليعة المتبرعين للجامعة الامريكية في بيروت . وكان كليفلند دودج في جميع ذلك خير خلف لخير سلف . فقد كان كليفلند دودج ابن وليم ارل دودج . وهذا الاخير كان ايضاً كثير الاهتمام بالشرق الادنى علاوة على انه كان تاجراً معتبراً انتخب ثلاث مرات متوالية لرئاسة بورصة نيويورك . وكان شديد الاهتمام بجمعيات التبشير فوهب لها اموالا طائلة لا تقل عما وهبه لمشاريع الاحسان في مدينته نيويورك حيث تمثاله في حديقة بريانت Bryant Park بالقرب من مكتبة نيويورك العمومية — ولا نغالي اذا قلنا انه لولا وليم ارل دودج ربما لما تحققت الجامعة الامريكية في بيروت . فقد كان اكبر عون لدانيال بلس صاحب مشروع الجامعة الذي قام برحلة الى الولايات المتحدة وانكلترا في سنة ١٨٦٢ لجمع التبرعات تحقيقاً لهذا المشروع فتبرع له وليم ارل دودج باكبر قيمة تبرع بها فرد في سبيل انشاء الجامعة وكانت عندئذ تدعى « الكلية السورية الانجيلية » . ثم ان مؤسس ثروة هذه العائلة — دافيد لو دودج — وهو وليم ارل

كان ايضاً ملهم اخلاق افرادها العالية، فجمع بين الاثراء والاحسان. ويؤثر عنه انه في سنة ١٨٠٩ عندما كان لا يزال في بلدة بروكان كنيكتيكت (لا بروكان نيويورك) الف كتاباً عنوانه « مملكة الوسيط (اي المسيح) ليست من هذا العالم ». وقد حاول فيه دافيد لو دودج التاجر الصناعي الذي نقل اقامته فيما بعد الى نيويورك أن يبرهن على ان الحروب تنافي تعاليم المسيح .

اتينا على هذه الفذلكة لنثبت للقارىء بان الدكتور بايارد دودج عندما يتكلم عن الامريكية والامريكيين يتكلم « كمن له سلطان وليس كالكتبة ! » وحياة الدكتور بايارد دودج في الشرق العربي مفعمة بالبراهين الحسية على طيب ارومته وكرم عنصره فكان لربع قرن ونيف كتاباً مفتوحاً تماماً بالمحاسن والقدوة المثلى، فوهب للشرق من ماله وقواه العقلية ومن روحه بسخاء. وروي عنه اثناء الحرب العالمية الاولى انه كان «يخسف نعل حذائه ويرقع ثوبه» وذلك ليكون قدوة لغيره من اغنياء الشرق وليوفر جهد مستطاعه ليطعم الجياع الذين كانوا يتساقطون كاوراق الخريف جثثاً هامدة في طرقات بيروت وعلى سفوح جبل لبنان . ودفاعه عن العرب في قضية فلسطين في المجلات الامريكية وفي محافل الخطابة امر مشهور لدى الذين يعرفون هذا الرجل. وهو الآن يصرف سني حياته التي استحق فيها ان يرتاح في اثارة اهتمام الشعب الامريكي باللاجئين المشردين من عرب فلسطين. وقد كان لمدة بضعة اشهر مستشار منظمة الامم المتحدة للجنة اللاجئين العرب . ولما انتهت مهمته اخذ يسوح في طول البلاد وعرضها يخطب في الجموع الامريكية عن العرب وقضايا العرب ويستندي اكف المحسنين للتبرع لنساء العرب واطفالهم المشردين في العراء الذين يطوون على جوع ويستيقظون على يأس مقيم ومرارة تحز في النفوس وهو عندما يتكلم عن العرب لا يعظ ولا يؤنب ولكنه يصف الحالة كما يراها وكما اختبرها بنفسه . ويزيل من الاذهان ما علق فيها من الاخطاء الفاضحة عن العرب واهدافهم في الحياة . وعندما خطب في الطلبة العرب في جامعة كولومبيا اسر لهم — وكان بينهم عدد من خريجي الجامعة الاميركية في بيروت على عهد رئاسته — بانها فرصة نادرة اتيحت له بان تكون اغلبية سامعيه من العرب لا من الامريكيين فاختار لهم موضوعاً مفيداً ضرب فيه على وتر طربوا له . وقال انه عندما يخطب في جمع امريكي يشرح لهم عن العرب ومبادىء حياتهم القوية ومثلهم العالية . ولكنه في تلك الليلة يريد ان يتكلم عن الامريكيين والصفات الاميركية التي كانت السبب في عظمة امريكا وثبات ديموقراطيتها .



الرئيس بيارد ضودج

والآن، ما هي هذه الصفات الامريكية التي يحدس بها كثيرون ؟ عدد الدكتور بايارد دودج منها عشراً . وها نحن نثبتها في ما تبقى من هذه المقالة ببعض تصرف .

١ — يميل الامريكيون لحياة الهواء الطلق. فهم يكثرون من النزهة والمهرجانات في الحقول . وعندما ينتهون من اعمالهم مساء او بعد ظهر السبت او يوم الاحد لا يذهبون الى القهاوي بل بالاحرى الى المنشيات وحدائق الحيوانات . وكثيراً ما يذهبون الى الارياف جماعات. فيذهب الرجل ومعه امرأته واولاده وتكون الزوجة قد جهزت عشاء خفيفاً من السندوتش والقهوة الساخنة في الترموس. فيجلس الجميع تحت شجرة وارفة الظلال عند حافة ساقية او شاطىء بحيرة. وعند الانتهاء من العشاء اذ تأخذ الشمس بالمغيب ويمد الظلام سرادقه تعود العائلة الى منزلها في المدينة.

٢ — ان الامريكيين شعب « اسرابي». اي ان الامريكي يكره العزلة ويميل الى الاشتراك في العمل والتسلية مع اترابه . ولذلك كثرت الجمعيات في امريكا الى حد كبير لا تجده في اية بلاد اخرى ويستدعي استغراب الاجانب الذين يزورون امريكا لاول مرة . وقد بلغ ميل التجمهر بالامريكيين الى ان قليلين منهم يتفرغون لمطالعة كتب جدية او للتفكير بالمشاكل الحيوية التي يواجهها عالمنا اليوم . فيقرأون توافه الحقول في الصحف اليومية والمقالات السطحية في المجلات الرائجة واذا ارادوا الاطلاع على شؤون العالم الهامة يهرعون الى جمعياتهم او انديتهم لسماع خطيب دعي خصيصاً لهذه الغاية فلا يكلفون نفوسهم عناء التفكير .

٣ — تمر امريكا اليوم في فترة من تاريخ ثقافتها تستطيع التعبير عنها بانها « اكلكتيكية » Eclectic — اي انتخابية تجمع بين ثقافات عديدة. فليس هناك ثقافة امريكية بحتة — كما كان يصح التعبير عنها نوعاً في ما مضى — منذ مائة او خمسين سنة . بل هناك ثقافة مشكلة مختلطة تشبه كثيراً الثقافة العربية او الاسلامية في العصر العباسي . فالتقاليد التي كانت ركن الثقافة الامريكية

آخذة بالتلاشي . يصح هذا في الادب والفن والسياسة والاقتصاد .

٤ – ان هذه « الانتخابية » في الثقافة الامريكية الحالية تساعد على خلق جو ملائم للتقدم . فالامريكي اليوم ميال لتجربة الافكار الجديدة ولا سيا في الامور الصناعية والتكنيكية . ولكن هذا الميل لا يقف عند حد الماديات والميكانيكيات بل يتعداه الى الفن والازياء والمعتقدات حتى اصبح نوعاً من الوله .

٥ – ان الامريكي مبذر . وهذه صفة غير مستحبة . فهو كريم بالعطاء في سبيل الخير والمشاريع العمومية . فانك تجد كرم الامريكيين في الطبقات الوسطى لا يقابله كرم مثله في اية امة او بلاد . وقد قيل ان ما يتلفه الامريكيون من الطعام في السنة يكفي لاشباع قارة . نعم ولكن ما يتبرع به الامريكيون بالاموال والمواد الغذائية ايضاً يكفي لاشباع قارة بكاملها .

٦ – من اجمل الصفات الامريكية واجدرها بالشرقيين اقتباساً حب الامريكيين للعمل . وهذا اراد الدكتور دودج التأكيد والايضاح فقال « اعني العمل اليدوي . » ومضى يقول – « هل علمتم ان عدداً كبيراً – بل كبيراً جداً – من فلاحي الولايات المتحدة هم خريجو كليات وجامعات؟ اعرف سيدة هي الآن رئيسة تحرير جريدة نيويوركية تعد من اكبر جرائد البلاد بل جرائد العالم ، عندما توفي زوجها آلت على نفسها ان تلم بجميع شؤون الجريدة . فابتدأت «من اسفل» وتعلمت كل ما يجب معرفته من الطباعة وتنضيد الحروف المسبوكة والروتوجرفير وكل ما يتعلق باعمال الجريدة الميكانيكية . فكانت ترتدي ثياب العمل وتشمر عن زنديها وتشتغل مع العمال العاديين المستخدمين في جريدتها . وهي اليوم تعد ثقة بفن الطباعة لا تفوتها شاردة او واردة من مهام جريدتها الواسعة الانتشار .

٧ – وتجانس هذه الصفة صفة الاعتماد على النفس . وهي من الصفات التي توارثها الامريكيون القدماء عن جدودهم الاولين . وقد قلدهم فيها الامريكيون الحديثو العهد بهجرتهم باقبال غريب فالامريكي يجب ان يعمل ما يريد عمله بنفسه وان لا يكل ذلك لاحد غيره . فالامريكي اذا امكنه يرفض الاعتماد على غيره ويرفض تدخل غيره بشؤونه الخاصة . لذلك ترى الامريكي دائماً ينتقد حكومته لا لما تهمله من العمل بل بالاكثر لما تحاول عمله مما يحد من حرية الشعب ويقلل من اعتماد الامريكيين على نفوسهم . وقد جرى على لسان اغلب الامريكيين قول فيه كثير من الغلو وبعض الحقيقة وهو « الحكومة للجحيم » . ومن ادلة اعتماد الامريكيين على نفوسهم نزعتهم الترميمية التي يتولون بها افراداً وجماعات اصلاح ما دمرته الطبيعة في اوانه وعدم اهماله اعواماً وعقوداً . فاذا جرفت مياه الامطار جسراً في طريق بين بلد وآخر يتألب رجال البلدين لتجديد بنائه بايام معدودة . واذا شبت النار في قرية ليس فيها فرقة اطفاء تجمع المتطوعون على صوت جرس للقيام بعملية اطفاء الحريق . وجميل وحكيم ما صرح به الدكتور دودج مخاطباً الطلبة العرب – « ان الاقطار العربية ليست بحاجة الى مشروع ترومان او مشروع كلاب . لماذا لا تقومون انتم العرب بما يقتضيه هذان المشروعان وغيرهما من المشاريع . » ومن ابلغ ما استشهد به الدكتور دودج في خطابه على روح التعاون والاعتماد على النفس وقيام كل فرد بواجبه دون مفاضلة ومفاخرة وتمنين ان جورج بيركنس – احد كبار المتمولين الامريكيين المحسنين – ادان ولاية نيويورك منذ بضعة عقود مليون دولار لبناء جسر Bear Mountain وعندما تم بناء الجسر ومر عليه جورج بيركنس بسيارته كغيره من المارة مد يده الى جيبه واخرج قطعة خمسين سنتا (نصف دولار) ودفع الرسم الذي وضعته ولاية نيويورك استيفاء لثمن الجسر ولم يقل – « الا تعرف من انا؟ انا جورج بيركنس الذي امدكم بالقرض المالي لبناء هذا الجسر ، الا تختشي بان تدفعني الرسم كاحد عامة الناس ؟

٨ – اشتهر الامريكيون بفرديتهم او بالاحرى بحبهم للحرية والاستقلال الفردي اللذين لا يحولان بحد ذاتهما دون التعاون ودون صفة اخرى اشتهر بها الامريكيون ايضاً ويجدر بغيرهم ولا سيما العرب اقتداؤهم بها . وهذه الصفة هي الاتحاد . ورمز ذلك في

وحدة الولايات المتحدة الفريدة في بابها (والتي يقال ان احد آباء الامريكيين الذين وقعوا « اعلان الاستقلال » الامريكي جون رتلدج اقتبسها عن الهنود الحمر . فمع ان كل ولاية تعد بنظر الدستور الامريكي وحدة سياسية مستقلة عن الاخرى ولهاسيادتها الخاصة ومجلسها الأشتراعي وحاكمها ومحاكمها وقوانينها الخاصة فاننا لا نجد بين هذه الولايات من فواصل الجمرك والعملة والعسكرية ما نجده بين دول الجامعة العربية مثلاً فالولايات المتحدة ليست وحدة سياسية ولكنها في بعض الامور الاساسية تتفق . ومثل هذا قد يصح بالدول العربية على ما صرح به الدكتوردودج فهي ليست بحاجة الى ان تتحد سياسياً قبل ان تتحد اقتصادياً واجتماعياً ولتحقيق اهداف اخرى . فبسبب اتحاد الولايات المتحدة الاقتصادي اصبح من الممكن انشاء شركات يعد المساهمون فيها بمئات الالوف بل بالملايين — كشركة التلفون والتلغراف النيويوركية مثلاً . ولاجل ذلك الاتحاد اصبح باستطاعة صاحب معمل لعصير البرتقال في شيكاغو مثلاً ان يبيع عصيره في ولاية كاليفورنيا او فلوريدا التي تنتج البرتقال بالسعر ذاته الذي يبيعه به في شيكاغو او نيويورك . وبفضل هذا الاتحاد استطاعت مجلة نيويورك ان تطبع ٧ ملايين عدد في الشهر وتفرقها في جميع انحاء البلاد بسعر واحد .

٩ — اراد الدكتور بايارد دودج ان يزيل بعض ما يكون قد علق في اذهان سامعيه عن مظاهر الحياة الامريكية المادية الصبغة : ناطحات السحاب والآلات الضخمة والثروات التي تفوق الحصر — فقال ان كثيرين يسيئون للامريكيين وللحقيقة الحياة الامريكية عندما يصمون الامريكيين بالمادية . فالحقيقة هي خلاف ذلك اذ ان مظاهر عظمة امريكا المادية هي رمز عظمتها الروحية ورسوخ مبادئها الديموقراطية الحرة . فالامريكي في صميمه متدين ومحب للفنون . وقد كان حب الفن ظاهرة بارزة في الامريكيين القدماء فكان يوجد في كل عائلة افراد ينصرف منهم هذا لفن الرسم وهذه للغناء وغيرهما للشعر او النثر الجميل . ولا تزال آثار هذه الظاهرة في الحياة الامريكية الجارية . فانظر الى معهد نيوانجلند للموسيقى او سمفونية بوسطن او متروبوليتان اوبرا في نيويورك ومثلها في شيكاغو وسانت لويس . او معرض متروبوليتان للفنون الجميلة في نيويورك ومعرض واشنطون الذي انشأه اندرو ميلون بثمانين مليون دولار . وقد لا تخلو مدينة او بلدة امريكية من معرض او معهد للغناء او لاحد الفنون الجميلة . فالامريكيون اسخياء على الفنون الجميلة حتى ولو لم يستفيدوا منها بقدر ما يجب . اما من جهة الدين فالولايات المتحدة ملأى بالكنائس وبالمعاهد الدينية على مختلف انواعها . وان ما نشاهده اليوم من عدم اكتراث كثيرين من الامريكيين بالاديان الوضعية او من الاضطراب الروحي فهو دليل على حالة انتقالية ومحاولة جدية لتطبيق الدين على ما قضت عليه العلوم الحديثة من الافكار الدينية القديمة وما اكتشفته من الافكار الجديدة . فليس ما نشاهده اليوم في الولايات المتحدة دليل تعطيل للعاطفة الدينية بل دليل اثارتها على افق اعلى لايتنافى مع العقل السليم .

١٠ — وآخر ما ذكره الدكتور دودج في خطابه امام الطلبة العرب نصيحته لهم بان « لا تستعجلوا الامور » . فحذرهم بان لا يأملوا دائماً بان يجنوا بنفوسهم ما غرستهم ايديهم . فالشرقي اذا فتق له امر قال « لدي فكرة » . ولكن الامريكي لا يكتفي بذلك بل يقول « لدي فكرة وها هي الخطة » . فالامريكيون مغرمون بوضع خطط ومناهج لاعمالهم . وكثيراً ما يبدأون بعمل يجني اولادهم واحفادهم ربحه . وهذه صفة جدير بشباب العرب التمثل بها . فانهم لجوجون على ما يظهر للدكتور دودج اكثر مما يجب .

هذه هي الصفات الامريكية التي احب الدكتور بايارد دودج ان يرددها على اسماع الطلبة العرب في نيويورك . وهي صفات امريكية حسنة تؤهل للفلاح ، صفات « بلدية » وصفات اكتسبها الامريكيون من جميع الشعوب ، وبينهم الشعب العربي .

نيويورك — حبيب ابراهيم كاتبه

فردي

صفحة من حياة كبار الفنانين

بقلم صميم شريف

●

أرأيت أيها القارىء الى الفراش يتهافت على اضواء المصابيح الخافتة او الباهرة، فيتواثب حولها منتحراً بسحرها العجيب ، نشواناً بتألقها الغريب ، كذلك تجتذب انغام «فردي» والحانه الناس بروعة جمالها، وسحر عذوبتها، فينهاون من ينبوع موسيقاه بنهم لارواء غلة نفوسهم الظمأى التي لا تعرف الارتواء .

ولد (فردي) عام ١٨١٣ في مدينة رانكول بايطاليا من اسرة هدّمها الفقر ، واشقاها العوز ، وشتت شمل افرادها شظف العيش وبؤسه ، ومهما فتش الباحث ونقب في فروع واصول اسرته فانه لن يجد فرداً واحداً منها كان له ميل موسيقي ، او اي اتجاه فني آخر مهما سما نوعه او انحط .

في هذا المحيط العائلي البعيد عن الفن، والشاذ في طرق معيشته وحياته، شب فردي الطفل تقود خطواته في هذا الفن الرفيع مواهبه الدفينة ، وتراتيل الكنيسة التي كان يحج اليها صباح كل يوم ، والارغن الذي تلقن عليه تعاليم الموسيقى الابتدائية، والبيان الهرم القابع في زاوية من زوايا المنزل، والذي لم تتحرك عليه اصابع انسان قبله ، فكان على تنافر اصواته المزعجة يجد في صدر الطفل رحابة وسكينة جميلتين .

ولكن الاقدار سرعان ما قست عليه ، فقذفته قذفاً وهو ما زال في الثانية عشرة من عمره الى آتون العمل في سبيل لقمة الخبز ، فيهجر مدرسته وان لم يستطع مفارقة كنيسته وارغنه الحبيب ، فكان يسارق اوقات العمل مسارقة ليسبح في بحر التراتيل المليئة بالسمو الانساني . . تلك التراتيل التي مهدت ملكاته في التلحين الغنائي . وقيض له ان يحقق خياله البعيد الحالم حين تعرف بالاستاذ بارتري فاتفق معه على ان يزاول عنده اعمالا اخرى بجانب الاعمال الرئيسية في تدوين الحان استاذه الخاصة وتنظيمها لقاء ايوائه واطعامه .

وهكذا استقبل (فردي) حياته الجديدة فأخذ يصقل مواهبه ويلتهم المعلومات الموسيقية التي يدونها لاستاذه التهاما ساعدته فيما بعد لان يصبح اكبر ملحن للغنائيات .

وكأن الحظ حالفه بعد ادباره الطويل ، فعشق في هدأة من العواطف الجياشة التي سيطرت على قلبه العذري ابنة استاذه مرجريت فرحل الى ميلانو حاملاً في قلبه المتقد بجذوة الحب ، الايمان بنفسه وبنبوغه وبالحياة ، ولكنه اخفق في دخول معهدها الموسيقي ومع هذا لم ييأس واستطاع ان يتتلمذ بعد وقت قصير على يد احد الموسيقيين والمؤلفين للغنائيات المدعو لافينيا الذي قاده الى منابع فن الغناء الاصيل ، فأخذ يحفظ غنائيات العظيمين هايدن وموتزارت حتى تأثر بهما واستوعب ما خفي عليه من دقائق المسرحية الغنائية تماماً .

وعاد بعد ان اصبح المشرف على المغنين والمغنيات في فرقة اوسكال السيمفونية الى مسقط رأسه نافخاً النار من جديد في جذوة الحب التي كادت تخبو لتقادم عهدها ، فتزوج من مرغريت وما مضى طويل وقت حتى عاد مرة ثانية الى ميلانو ترافقه زوجه واحلامه .

ومرت سنوات ازدادت بها شهرته، وغمره الوله بزوجه والحنان بولديه الصغيرين ، ولكن سخرية القدر لم تدعه طويلاً هانئاً في سعادته، اذ توخى الحمام اكبر ولديه ثم رزأه بالثاني بعد مدة وجيزة .

ولم تكد جراحه تلتئم حتى فجع بزوجه مرغريت تلك التي كانت مشعل حياته والتي انتشلته بحبها من الحضيض وجعلته شيئاً مذكوراً .

ولم يبرأ من سقمه ويشفى من آلامه الا حين تفتحت براعم قلبه ثانية ليحب جوزفين بحذر ثم بجنون ملك عليه حسه وادراكه

وانتهى بزواجه منها . ولقد عاشا حياة مليئة بالسعادة ، طافحة بالمسرات ، حتى ادركتها الوفاة بعد ان شاهدت ولمست بنفسها العظمة التي وصل اليها زوجها .

انتج فردي منذ عام ١٨٥٠ غنائيات ضخمة نحا في طريقة تأليفها نهجاً جديداً في فن الغناء خلدته وخلدها الى الابد ، واشهر غنائياته هذه ، ريجوليتو* عطيل ، لاترافياتا ، عائدة ، ترافاتوري ، فالستاف .

ظهرت غنائية « اوبرا » ريجوليتو واخرجت المرة الاولى عام ١٨٥١ وقد طاب منه ذلك بعد ان احدث ضجة بغنائياته الخمس عشرة التي اجتاحت مسارح اوروبا من اقصاها لاقصاها .

وقد اتفق الصديقان بييف وفردي على قصة فيكتور هوغو المشهورة مضحك الملك فاراد بقصته هذه ان يطعن بالملكية فروى بها قصة طريفة تدور حوادثها عن الملك فرانسوا الاول ومهرجه تريبوليه .

صاغ فردي الحان هذه القصة من عصاره روحه ، وغذاها من وحي فذاذته ، فكان نجاحها عظيما حين مثلت للمرة الاولى في البندقية . ولكن الصديقين ما كادا يهنآن بهذا الفوز حتى فوجئا بتدخل الرقابة والغاء تمثيلها الغاء تاماً .

غير ان الصديقين خشيا ان تجد هذه المسرحية طريقها نحو الاهمال فحورا في معالم القصة ، وجعلا حوادثها تجري في ايطاليا ، فكانت شخصية فرنسوا الاول لدوق مونتانيا ومضحك الملك تريبوله لريجوليتو ومن هنا اطلق على المسرحية اسم هذا الاخير .

اما حوادث هذه الغنائية فتبدأ بلعنة الكونت مونتيرون حين يشعربان دوق مونتانيا ومهرجه مهتمان بابنته ، فيستمطر السماء اللعنة عليهما تلك الادعية التي تهرق لها السماء وترعد .

وكان ريجوليتو يعرف خبث نيات سيده الفاسدة ويدركها ، لذلك كان شديد الخوف والحذر على ابنته الجميلة جيلدا من مطامع سيده الدوق واغراضه الدنيئة التي لا نهاية لها .

ولكن الفتاة جيلدا تعشق دوق مونتانيا الذي يخفي عنها حقيقته ويوهمها بانه طالب في الجامعة . وفي هذه الاثناء تعلم حاشية الدوق بان ريجوليتو يتردد خفية على جيلدا دون ان يعرفوا بانها ابنته ، فاتفقوا فيما بينهم — وكانوا يضمرون له الحقد — على اختطافها ، وتجرأوا فأشركوه بمؤامرتهم الوضيعة .

وتحيط حاشية القصر الدوق علما بما فعلوه ، فيهرع مع نديمه الى جيلدا وهناك يعترف ريجوليتو ويطلب الرحمة له ولابنته ولكنه عبثاً يتوسل .

وحين يختلي ريجوليتو بابنته فيما بعد يقسم لها بأنه سيثأر من الدوق مهما كلفه الامر ، ويحاول اقناعها بان تقلع عن حب الدوق المخادع المخاتل ، ولكنها تصم اذنيها عن سماع عباراته وتعلمه بانها ستبقى على حب الدوق مهما حدث .

ولكن ريجوليتو كان قد قرر الانتقام ، واعد خطة كفل لها النجاح فاغرى احد المجرمين ويدعى (سبارا فوسيل) بمبلغ كبير من المال على قتل الدوق وتسليمه جثته في كيس قرب احد الكهوف .

وكان للشقي فوسيل شقيقة تحب الدوق بدورها وتدعى مادلين فما كادت تلم بخبر المؤامرة حتى اسرعت الى اخيها في كمينه ، وحاولت اقناعه ولكنه اصر مدعياً بانه تقاضى أجراً ضخماً لقاء ذلك ، ولكنها ما زالت به حتى اقنعته بان يقتل اول لاجىء الى الكهف عوضاً عن الدوق .

ووصلت جيلدا في تلك اللحظة الى مدخل الكهف ، وسمعت الشطر الاخير من الحديث ، فتملكها الخوف على حياة الدوق ، ودفعها حبها الشديد له ، ان تضحي بنفسها بعد ان ايقنت ان العاصفة الشديدة التي في الخارج ستلجىء الدوق الى الكهف . فما كان منها الا ان تسلحت بشجاعتها ودخلت الكهف حيث تلقاها السفاح فوسيل بطعنات متتالية من خنجره .

وسلم المجرم الجثة بعد ان وضعها في الكيس الى ريجوليتو وبينما كان هذا الاخير يسعى الى النهر ليلقي بحمله فيه تناهى الى سمعه صوت الدوق الذي كان يغني جذلا ، فحاول ان يكذب اذنيه ، وقد اضطربت حواسه ، وانتابه الانفعال ، وسيطر عليه الوجوم ، وعقد لسانه الخوف والفزع ، فدفعه الفضول الى فتح الكيس ، فوجد ابنته فيه تعاني سكرات الموت مدنفة ، وتلتمس الصفح والمغفرة .

فيغفر لها ويعفو عنها وقد تملكه الحنق الشديد حين برقت في ذاكرته لعنة الكونت مونتيرون فيهتف من اعماقه عليك اللعنة يا مونتيرون لقد تحقق دعاؤك وحلت لعنتك .

هي ذي غنائية ريجوليتو المجهولة للكثيرين وهي من اروع الغنائيات العالمية .

توفي فردي عام ١٩٠١ عن عمر يناهز الثامنة بعد الثمانين وقد اضحى قبره ومتحف روما الذي وضعت فيه آثاره محجاً للزائرين من عشاق فنه وغنائياته .

دمشق — صميم شريف

* سنتعرض في بحث قادم بشرح واف لباقي غنائياته .

الشاعر النبيل ندرة حداد

بهذه الكلمة الدامية نعى الاديب الاستاذ عبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح النيويوركية ، شقيقه الشاعر الاستاذ ندره حداد احد دعائم النهضة الادبية في المهاجر الذي توفي في ٢٩ مايو ١٩٥٠ :

« سكت الشاعر ، ندره حداد ، بعد ان ملأ دنيانا بشعره العذب العاطفي وحكمته الانسانية ، وكان مثالاً لعفة القلب واللسان وقدوة في نظافة النفس والوجدان وفي المحبة والمسامحة والغفران.

وانا صاحب « السائح » الكسير القلب والمهيض الجناح في فجعتي الكبرى بشقيقي ورفيقي ومعيني ودليلي في حيرتي — انعي اليكم يا قرائي الاحباء عهداً قطعناه معاً فيه احبكم ندره حباً جماً وفيه ايضاً استغنيت بحبيبي ندرة عن كل ما في الدنيا من زخارف ونفائس انقدم اليكم بهذا النعي الاليم لي ولكم . »

وفيما يلي ننشر « الشاعر النبيل » وهي مرثية الاستاذ الدكتور احمد زكي ابو شادي للشاعر الفقيد ندرة حداد رئيس « رابطة منيرفا » الشعرية و « عضو الرابطة القلمية » في نيويورك. وقد القاها الدكتور ابو شادي في حفلة تأبين الشاعر الراحل امام جثمانه بقاعة الدفّان مساء ٣٠ مايو سنة ١٩٥٠

الشـاعـر النبيـل

أفي العرس تنعى؟! يا لها قسوة القدرْ ! ولكن هي الدنيا تُعلّم من غدر

ولم ترحم الدولات يوماً ، فهل لها(١) بأن تنقذ الفرد العظيم من الغيرْ ؟!

وكنت على وعد لالقاك مثلما الاقي بشاشات الصّباحة والزهر

لأنعم بالحلو الحديث مرتقاً وبالحب موفوراً ، وبالراح والثمر

واقتبس المعنى الثمين ذخيرة اذا شح ود الناس او خاطري افتقر

واشهد (اوراق الخريف) (٢) مجانياً من الجنة الفيحاء ، لا ذابل الشجر

وما كنت ادري ان موتك سابقي وان كنت لم تبرح على الوعد تنتظر !

وما رخصت يوماً بقربك لحظة بذلت لاسعادي ، ولا مسها الضجر

فها انا من يلقاك والدمع خانقي وما لي ابتسام كابتسامك مدخر !

تجلى على الوجه الحبيب بوسنة هي الراحة الكبرى لمن كده السفر !

***

نداماك جاءوا جازعين ، وطالما بشعرك كانوا الطائفين على السمر(٣)

يطوفون سكرى حول نعشك في الاسى وبالامس كنت الشعر يسكر من سكر

رأيت بعين الروح عُقباكَ ، انما أبيت عزيزاً ان تكون على حذر

وخلفتنا لم نفقد الفن وحده بل الرجل الفذ الذي قلبه انفطر

---

(١) اي فهل لها رحمة بأن تنقذ . . . (٢) ديوان الشاعر الفقيد.

(٣) السمر : مجلس المتسامرين.

وفي هيكل الحب السماوي نفحهُ   وشعلته المثلى تضيء لمن عبر
وفي ذمة الرحمن نور اذابه   على الطرس، او نور على العالم ابتكر!
اذ قيل (يوم الذكر)[٤] هذا ، فانه   تضمخ اضعافاً بذكرك للعُصُر !
وما الفاتح الغلاب بالنار ذكره   بأخلد من لحن تأجج وانتصر !

***

صديقي المسجى ! أي رزء لعالم   سيبقى على الآباد يشقى ويحتضر
ويفنى مراراً حين يُبنى مكرراً   وقد خلطت فيه الخرائب والصور
وكانت وما زالت معاليه هوة[٥]   وكان ولم يبرح اذا اكتمل اندثر
وكان ولم ينفك مأساة مسرح   يهدمه الباني وتتلوه العبر ؟
وهل ثم معنى للنبوغ بأوجه   يساق الى الموت المحتم والحفر ؟
ام الموت ميلاد الحياة غنيّة   بما كسبته من تراث ومن فكر
وانك انت العبقري بروجه   تُحدث من ناجى ، وتُلهم من شعر
ومنهك الحر المطل على الدنى   تفرد ، لم تحجبه شمس ولا قمر ؟
عجائب ضاق العقل عنها ببحثه   وزل خيال الشعر فانبتّ وانكسر !
اجبني كما عودتني في صراحة   وفي نظرة نفاذة خلف ما استتر
فما كان هذا الصمت صمتاً لخاطري   اذا شئت ان توحي وتصدقني الخبر
والا فواحزني المضاعف عندما   يُرد نجائي[٦] كالجريح الذي عثر !
ويا وحشتي في غربتي[٧] ، وقلما   أرى غير من باهى على الشر وابتدر !

***

عزاء (بني حداد) ، والخطب خطبنا   جميعاً ، وخطب الالمعية والبشر
ومن ذا يعزي في النبيين آلهم   وينسى شعوباً حظها اليأس والخطر؟
لقد عبدوا الاصنام وهي سواخر   لغفلتهم اضعاف ما عبدوا البقر
وعجوا بشكواهم ، وهم من بذلهم   جحيم اعدوه ، وفي جبنهم (سقر)
فما كان هذا النبل ملكاً لامة ،   ولا لغة عزت ، ولا مرسل ظهر
ولكنه ملك لآفاق نفسه   ومن بعضها اسنى العواطف والوتر
غفرنا ذنوب الدهر الا ذنوبه   على المبدع الفنان ، لو انه غفر !
عزاء لنا جمعاً ، عزاء ، فانما   اذا الشعب لم ينصف نوابغه انتحر
وما كانت القربى الوشيجة وحدها   فبين دموع الناس ما خلق المطر !
وليست دموع تبذل اليوم حوله   دموعكمو، بل من معانيه ما انتثر !
ومن ذا الذي منا يؤبن فضله   بأبلغ من نفح الخمائل والنهر ؟
ومن خطرات النور تضفي حنانها   فيلثمها في برها الترب والحجر ؟
ومن كل حسن في الوجود مؤصل   يجاوبه بالروح والسمع والبصر ؟

---

(٤) يوم الذكر Memorial Dig هو عيد الذكر للموتى ويوافق ٣٠ ايار (مايو) ، وهو اليوم الذي اقيمت فيه حفلة التأبين . (٥) الهوة : الوهدة السحيقة . (٦) النجاء (بكسر النون) : النجوى . (٧) غربتي : الغربة عن مسقط راسه والغربة عن بيئته الروحية

ولم القه يوماً – وكاي حيـاله ... خشوع – كحالي اليوم لا املك النظر

وليس جلال الموت ما هو قاهري ... ولكن جـلال في تساميه ما قهر

لمـن رقرق الشعرَ العصيَّ جداولا ... من السحر ، والآي الطهورة في سور

ومن كان ادنى فضله يبهر النهى ... ويخفي – حياء منه – اضعاف ما بهر

ومن دمعة (العاصي)[8] عليه كدمعتي ... كأني جزء منه قـد بُتّ فانشطر !

وما كان بالتهويـل والروع فنه ... ولكنه نبـع تسلسل وازدهر

وكل الذي اسدى سجيـة نفسه ... وليس معاداً من فلاة ولا حضر

ابيت الربا الا ربا الوقت عنده ... فمن زاره يغنى ، ومن فـاته خسر

كـأن السنين الخمس خمسون حجة ... بصحبتـه ، او كالخضم اذا غمر

عرفت بها الانسان في ملكوته ... ملاكاً ، وقد عادى الصغائر واحتقر

وأنشقني عـرف التسامي إباؤه ... واشعرني بالجاه ما صاغ من درر

وما (ندرة) الا هدية رحمة ... الى الخلق ، فاغتيل الحنان الذي ندر

وقـد بذر الحب المصفى لعـالم ... شقي ، كأن الله من قلبه بذر

ولم يصطحب الا السهـاد بحبه ... كذاك النجوم الزُّهر تصطحب السهر

لئن لم ينل من عمره غير ذكره ... فان اجل العمر مـا شع بالذِّكر

يصلي عليه المسلمون كأنه ... ولي ، وفي برديه (عثمان) او (عمر)

وتبـكي له الصلبان حتى كأنما ... بذبحته[9] كان الفداء لمن كفر !

ويعرفه الانسان من كل ملـة ... اخاه ، فمن وجدانه ذاق واعتصر !

ولم يشرح (الانجيل) الا خلاله ... ولا كتب الاديان دون الذي سطر

ومـا قيمة الانسان الا بقلبـه ... فينبض بعد الموت في كل ما خطر

كذلك غنتنا القرون التي مضت ... وغنت لنا الافلاك إنْ ليلنا اعتكر

فـكيف بمن لم يعرف الموت طبعه ... وعاش جمالا للحيـاة بما نشر ؟

وكيف بمن انفاسه علوية ... تشربها من حولنا كل ما نضر ؟

***

اراني صديقي في وقوفي مؤبناً ... اخادع نفسي في صفاتك والاثر

والا فما عذري ، ومثلك من أتى ... الى هذه الاطلال من سُدُم أُخرْ ؟

وليس رثائي غير رمز لوحشتي ... فشأنك بين العبقرية والقدر

ومن كان من نور وعطر حيـاته ... فغايته التخليد في نُوره العَطِر

تعالى على الشكر الحميم بعيشه ... وفي الموت لا يعنيه تأبين منشكر

ولكنما يعنيه ثأر على المدى ... من الظلم والظلام والبطش والبطر

لئن جاد بالشعر الرقيق اغانياً ... فمن خلفها الآلام تقدح بالشرر !

لقد عاش عيش التضحيات ، وموته ... حياة لمن يحيا ، وإلهـام من ثأر !

نيويورك ... احمد زكي ابو شادي

---

(٨) لُقب الفقيد « بشاعر العاصي » اشاره الى موطنه الاول الذي كان دائمًا يحنّ اليه.

(٩) توفي الفقيد بالذبحة الصدرية.

رنمات صوفية

بقلم صلاح الدين المنجد

دمشق

اعطني نشوة من حبك لا تزول ،
فنشوة هذه الخمر لا تدوم .

الجود الناقص ليس من شمائلك .

مننت عليّ بنظرة من وجهك فأمددني بمدد اطيق به الصبر على البعد عن طلعتك .

واذا اردت خلودي فعذبني . والى وادي حبك قدني ، واغمرني برضاك عني ، ففي واديك المقدس ، وتحت عرشك الممجد ، استمد من حكمتك فيكون لي ، انا الفقير الحقير ، ما لم يكن للغني الجليل ، بين الاحياء .

***

تركت كل ما اطلب من الدنيا .

فنلت ما نشدت . اصبحت هائماً بوجهه ، لا اعرف غيره . واذا طفح قلبك يوماً بحبه ، فلن يسع سواه .

شفته الحمراء ملأت رأسي نشوة وعينه السوداء ملأت قلبي حيرة .

وعندما غمزني حبيبي بعينه ، غارت النجوم ، وتغامزت شوقاً الى حبه

***

ضحك ، وهو معي ، فغمر الورد الاسواق ، وعبس ، مذ تولى عني ، فملأ البيت بالاشواك .

كلماته هناءة وسقام ، واشاراته حكمة وهيام ، ونظرات عينيه تطرد الاوهام لكن وعده حق وسلام .

***

شعاعات روحي ، خيوط حرير ، متصلة بعرشه .

ضفائر نور جديدة اتتني منه في ضحكات الربيع .

يهيجني نور عطفه في فتور الاماسي ، ويؤرقني في صفاء الاسحار لكنه لايفارقني في الليل والنهار .

فيرعش قلبي ، آية للفناء فيه ، كما يرعش الحباب الطافي قبل الفناء .

فلا تبخل ، يا مولاي ، ببسماتك ، فبسماتك معرض لآيات جمالك .

***

عشقنا كان من الازل ، هاج العرق بحبنا ، وومض بنيراننا ، وكشف في الليالي عن جراحنا .

حملت النسمات معاني حبنا ، فعطرت بها الورد ، ونضرت زهرنا .

فلن يحمل الزنبق الابيض الى بابك غير عبدك ، ولن يغرس الورد في طريقك غير مولاك .

***

زر من الورد قلبي .

منك تسطع نفحاته ، وبك ترف ورقاته ، لنورك ينمو ، وكما تشاء يكون .

غزل الفراشات الخفاف يزعجه ، وبريق اجنحتهن يرعبه ، ورعشات قلوبهن لا تفتنه ، وغماغم حبهن لا تشجيه .

فحلمه احلى .. وانضر وأبهى .

ماجت في حديقته الزهور ، فزخرت بالالوان والطيوب ، وزهت بالاشباح والطيوف .

لكنها في عينيه مماديح ..

فهو غريق في صمت حالم .. ينظر اليك .

هو لا يرشف الندى

لانه يذوب ، قبل رشيفه ، من تأجج الهوى

وهو لا يحس الظما

لان في ذكرك خمراً عب منه فارتوى

هو لا يريد الا رضاك

ولا يؤثر غير هداك

والك وحدك وهب نفسه .

صورة جانبية لاناطول فرانس

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

من المسلم به ان « اناطول فرانس » هو في طليعة الكتاب من حيث الخيال والاسلوب . ومع هذا فكم من قرائه راض نفسه على التعمق وحاول اكتناه مرامي هذا الكاتب الكبير غير مكتف بالتسلي بأماليحه . والتفرج على مباهجه المصورة .

فقد تجد في انجلترا من يعجب بما كتبه « إبسن » « وتولستوي » ومن دونهما بمراحل على ما بين تفكير أولئك الكتاب ، وبين تفكير الانجليز من بون بعيد . وانما دعا الى الاعجاب بهم انهم كانوا يصدرون فيما يكتبون عن فطرة صادقة . وكانوا صرحاء غير مداورين .

ان « أناطول فرانس » — بالرغم عن صفاء اسلوبه وحلاوة عبارته — لا يبدو ان يكون متهكماً ساخراً .

ومما لا خفاء به ان من الوصايا العشر الواجبة الاتباع عند الادباء الانجليز تلك الوصية القائلة : لا ترتكب خطيئة التهكم والسخرية فهي المعصية التي لا تقبل فيها كفارة . والخطيئة التي لا تغتفر .

وكلما اراد الكاتب الانجليزي ان ينشر من آراء ، ويثب من تعاليم فانه واجد من يتلقاه بالقبول والرضى ما دامت تعبيراته لا لف فيها ولا مداورة .

ولكنه اذا حاد عن الجادة . وجانب الطريق السوي . وحاول ان يلجأ الى الالغاز والاحاجي فقد خسر قراءه ، وفقد مريديه وانصاره .

وقد يكون منشأ ذلك ان زعيم التهكم المر . وامام السخرية اللاذعة في انجلترا هو الكاتب « سويفت » . وشهرته بالتصنع والتكلف في غنى عن الشرح والبيان .

وقد يكون ما نال احساس الشعب الانجليزي من حرج بالغ عميق من ذلك المتهكم الساخر قد جعل الانجليز لا يطمئنون الى اي كاتب ساخر . وهو ما يسمونه بالكاتب الباسم وفي يده الخنجر .

ولكن سخرية « اناطول فرانس » ومثلها سخرية رينان — وان كانت تلك أبعد من هذه مدى — هي سخرية نافعة ذات ثمر . بل قل انها سخرية مبعثها الحنان والرغبة في المواساة .

اناطول فرانس



وأبهج المسرات عنده هي دؤوبه على ملاحظة الفروق والمتناقضات ودراسة ما يخدع به الناس من اوهام واضاليل . وليس القصد من هذه الدراسة وهذا التقصي جرح الناس وايلامهم . فان عبقرية هذا الكاتب انما هي عبقرية المشفق المحسن .

وليس هذا بمنسينا انه الساخر اللاذع . بل الساخر بالفطرة حتى لا يدانيه في سخريته ساخر . ولا يقاربه في تهكمه متهكم .

فاذا ذكرنا هذا كنا قادرين على ان نفهمه على حقيقته .

فالفكرة التي حدت به الى تسميته احدى قصصه « قصة الضيق والغم والعذاب » .

* منقولة عن كتاب « صور جانبية لكتاب فرنسيين »

من الفيلم الالمانية

مذهب ولف

بقلم محمد عيناني

∴

قبل ان ننتقل بالقارىء الكريم الى مذهب آخر، في استعراضنا بعض الوجوه العميقة المريدة في المدرسة المثالية الالمانية يحسن بنا ان نتوقف قليلاً عند « تشيرنهوزن » فيلسوف المنطق ١٦٥١ — ١٧٠٨ .

كان تشيرنهوزن يجهد لتأسيس طريقة علمية، وهو من مجندي نظريات ديكارت وسبينوزا وليبنز، والالمان يدعونه « طبيب المنطق » و« طبيب العقل »، والمنطق في مفهوم « تشيرنهوزن » طريق الاكتشافات الحقيقية وليس مجرد مظهر من مظاهر التفكير الحق فحسب. والمنطق، في نظره ايضاً هو العلم الاساسي وجذر كل علم آخر. وهو يقرب الانسان من الله. اما نقطة انطلاق « تشيرنهوزن » فديكارتية: اليقين المطلق بالوعي الشخصي الفردي « الانا » انني اعي نفسي وأعي الاشياء، وهذه اثبت مراتب اليقين، والفكر لا يستطيع مهما بلغ من سلبيته انكار هذه الحقيقة . وهذا الواقع الفردي المبدأي العام، يتركب من ثلاثة عناصر تحاكيه ثباتاً وقوة ١) انني اعي تأثرات طيبة وبغيضة ٢) انني اعي المقدرة على معرفة بعض الحقائق والعجز عن معرفة البعض الآخر ٣) انني اعي كوني سالباً حين اتلقى المعرفة . هذه هي معطيات منطق « تشيرنهوزن » وعليها بنى نقديته للعلوم الرياضية ،

وهي في ذاتها قصة مضحكة هي فكرة تحير عقول قرائه لولا انه يشرح موضوع القصة وموضوع عنوانها اذ يقول :

انها قصة تحكي احاديث الرجال والنساء الذين يعنون بالظواهر الجانبية للاشياء، والذين يمثلون قصة الحياة تمثيلاً مجرداً بدلا من معاناة العيش فيها معاناة من جرب واختبر .

انها قصة يسمح لاشخاصها ان يقولوا ما يريدون وان يفعلوا ما يشاءون — وهم اهدأ ما يكونون نفساً واصلح ما يكونون بالا مهما بلغ القول والفعل من بشاعة وشناعة .

والتهكم في هذه القصة اساسه المزج بين الهزل والجد والمراوحة بين الوقار والطيش في كل ما يدور بين اشخاص الرواية من حوار وجدل .

والغرض الذي يرمي اليه المؤلف في قصته تلك وكذلك في كتابه « حديقة ابيقور » هو ان يحذر الناس من التعمق في العلم والمعرفة . ومن اقواله المأثورة: كن اقرب الى السذاجة وارض بان تكون مخدوعاً . والا فلن تكون سعيداً ابداً .

وانظر في قصته التي نحن بصددها الى الدكتور « تربلت » ذلك الطبيب اللبق الكيس، الذي كانت الممثلات يلقبنه بسقراط . انظر اليه وهو يقول : انما انا طبيب ادير مصنعاً للاكاذيب. فانا بطبي اواسي واعزي. وهل يستطيع المرء ان يواسي وان يعزي بغير اكاذيب .

وهذا من المتناقضات الاناطولية التي منها ايضاً قوله: ان الجد والاجتهاد غرور ووهم. وان الانسان يغتذي بالاوهام فاذا حرمنا من هذا الغذاء الخرافي كان كل ما يقدم على مائدتنا من صنوف العلم لا جدوى فيه ولا غناء .

ولقد ساء « اناطول فرانس » وأقض مضجعه ان الناس لا يصدرون ابداً عن طبيعتهم . وانهم قلما يجاهرون بالرأي على انه الرأي الصحيح بل انه الرأي الذي يحسن ان يقال وبحسبهم تعلة لهذا الخطل قولهم : انك قلما تجد من هو سليم الفطرة سلامة تامة .

وقد ضرب « اناطول فرانس » في كتابه هذا مثلاً على التناقض بين ظاهر الناس وباطنهم . قول احدى الممثلات على المسرح تخاطب زميلاً لها (وكانت قد عادت قبل اعتلائها خشبة المسرح من تشييع جنازة أحب حبيب اليها) :

يا اقرب الناس الي، لقد استيقظت هذا الصباح، وانا اكثر الناس فرحاً واشدهم سروراً .

القاهرة — مبارك ابراهيم

ولكنه ، مع الاسف ، قسم على اساسها العلوم والمعارف تقسيما ينقصه الكثير من الثبات .

نعود بعد ان مررنا « بتشيرنهوزن » مراً سريعاً، الى موضوع حديثنا وهو مذهب « ولف » فنعرض منطقه وهو الاساس . المنطق ، في مؤلفات « ولف » ينقسم الى قسمين ، اولها نظري والآخر عملي . والاول يعالج المبادىء المنطقية ، والحقائق ، وقوى الحكم على الاشياء ، والثاني يعالج كيفية استخدام المنطق في البحث عن الحقيقة ، ويعالج التأليف ، ونقد الكتب ، والتعليم ، والمناقشة ، اي الحياة العملية بالاختصار اما فلسفته الاولية فهي نظرية المعرفة والكائن معاً . وهي تتعرض للمبادىء التي هي اساس كل يقين وكل فلسفة ، ولا تستحق ما قابلها به الديكارتيون من اهمال . ويحاول ولف في هذه النظرية التوفيق بين مبدأ التناقض ومبدأ السبب الكافي ، ومن نتائج مبدأ السبب الكافي ، كون كل شيء في هذا العالم عقلياً ان لم يكن عاقلاً . فكل شيء يسير وفقاً للعقل . وولف هنا يلتقي ليبنتز ويكمله . ولكن « ولف » يهدف الى نتائج اوسع واسمى من مقاصد « ليبنتز » : كل شيء له سبب ، وعلة ، ولكن لكي نستنتج ، من هذا ان كل شيء خير ، يتحتم علينا القبول بسبب نهائي لكل الاشياء . وهذا السبب هو كائن نهائي واجب الكمال ، وهو الله . وهو يحدد بعد ذلك ، الافكار العامة « الاونتولوجية » : الجوهر، الوجود، الضرورة، الكمية، الحقيقة، الكمال . الخ .

ثم يعالج « ولف » مختلف انواع الكائنات والنسب والروابط بينها . ثم يعالج الزمان والمكان ومعنى الديمومة والحركة ثم يعرض « وحدات » ليبنتز قائلاً انها اشياء بسيطة ، غير قابلة الانقسام ، دون شكل معين ولا صورة، ودون حركة داخلية ، وهي موجودة لان الاجسام المركبة موجودة . وهي لا تنبثق عن اي عنصر بل هي مخلوقة ، وهي اصل الاشياء ، ثم يعرف الجواهر بانها فاعل خالد يقبل التغير ، « وولف » يفتخر بانه اول من وضع اسساً علمية مستقلة ، هدفها قيادة النفس الى الله ، عن طريق الطبيعة .

وبعد ان حدد « ولف » فكرة الكون ، والروابط والنسب بين الاشياء ، وقوانين الحركة ، نجده يعرض في القسم الثالث من منطقه نظرية ليبنتز حول اكتمال العالم الحالي ، والتفاؤل الكوني الملموس في كتابات ليبنتز .

ان انضباط الكون في النظام ، واستحالة شرح ظواهره بالصدف ، تقودنا حتماً الى الاعتقاد بوجود الله . وعلم النفس التجريبي ، يجب ان يكون ، كما يقول ولف ، نقطة انطلاق علم النفس المتسامي ، هو الخطوة الاولى نحو ايجاد قوانين اللاهوت العقلي ، وهو كذلك اساس الفلسفة الاخلاقية . وعلم النفس التجريبي ينقسم الى قسمين : في القسم الاول يعالج النفس بوجه عام ، وملكة التفكير على الاخص . وهو يقرر هذا الحدث الرئيسي في ان كل فكرة هي عمل من اعمال العقل ، وبهذا العمل يعي الفكر نفسه ، ذاته ، وولف هنا يفرق بين قوى المعرفة البدائية « الحواس ، الخيال ، الذاكرة » والقوى السامية للمعرفة « التفكير ، والعقل » .

وفي القسم الثاني يعالج مسألة الشهوة فنجده يقسمها الى قسمين الشهوة الوضيعة البدائية ، والشهوة السامية ، اي الارادة في اكمل مراتبها . ففي الشهوات الوضيعة البدائية يرتب الشهوات الحسية ، والعادات الخبيثة ، والميول ، والمشاعر المختلفة ، التي تحرك القلب البشري ، وفي القسم الثاني يجمع الشهوات العقلية والميول نحو الحرية والانطلاق . ففي الحرية وهي شهوة وامنية وميل ، نعمل مدفوعين باسباب ، مما يلوح منافياً لمعنى الحرية ، ولكن العمل حر على كل حال ، لصدوره عن العقل . وهو ، هنا يقبل كأمر واقع ، علاقة الروح بالجسد .

اما في علم النفس العقلي ، فيحاول ان يشرح احداث الوعي وعلاقتها بجوهر النفس ، فولف يبين ، بدلائل منطقية ، بساطة النفس « هذا المبدأ المفكر » فالنفس في نظره جوهر بسيط ، وهي ذات طاقة واحدة ، ولكن هذه الطاقة الواحدة تحدث نتائج متنوعة متغيرة . وهي تتصور الكون من موقعها ، مكونة وجهة نظر خاصة متأثرة بالمكان الموجودة فيه ، وبالطبيعة الخاصة لاعضائها . ثم يعرض لافتراض الانسجام سابق التوازن والتصميم ، محوراً في بعض بنوده الاصلية كما وضعها ليبنتز محاولا ان يوفق بينها وبين الحرية والمسؤولية الاخلاقية ، قائلاً انه لبست ثمة معرفة سابقة تحدد التأثرات التي تلقتها المجموعة العضوية والشهوات والقابليات وحركة الاجسام ، من القوى الخالقة ، طبعاً هناك مبدأ عام ، ولكن النفس حرة كل الحرية حين تعمل .

وولف ، حين يعالج البحث في روح الحيوان ، يقرر لها ملكات مماثلة لملكاتنا السفلى الوضيعة ، وروحه عوالم لا تفنى ولكنها ليست واعية في خلودها .

أما كتاب « اللاهوت الطبيعي » فيعد من اعمق كتب « ولف » واشدها شمولاً، ولا نقول هذا بسبب سمو الموضوع المعالج وشموله ، بل بسبب الطريقة التي عالجه بها .

ففي القسم الاول يحاول اثبات وجود الله ، مرتكزاً الى التجربة ، فيقرر قبل كل شيء ان الكائنات التي نعرفها تتطلب موجداً يحتم وجوده « وهذا شيء يعرفه اليوم طلاب الصف العاشر الابتدائي ولكن « ولف » كان يسير وفقاً لمنطق الاشياء في بساطتها وتعقيدها على السواء ». وتتبع وجود الله صفات الارادة والقوة والحرية والحكمة والطيبة والمحبة . والاشياء مبدأها الله ، والله كخالق ، وحافظ لهذا الكون لا يريد وليس من المعقول ان يريد ، الا الخير الانسانية .

اما في القسم الثاني فيهاجم الالحاد والجبرية والمادية والمثالية السطحية الشعبية ، والسبينوزية .

وقد تأثر ولف، في فلسفته الاخلاقية والسياسية بأرسطو وليبنتز .

المبدأ الاول ، ويرتكز عليه علم الاخلاق في نظر ولف ، هو فكرة طموح الانسان نحو الكمال . ويعرف هذا الطموح بالانسجام او الوحدة في الاختلاف ، وأخلاقياً ، هو اتصال حالة الانسان الحاضرة بحالاته الماضية والمستقبلة، وميل هذه الحالات الى الكيان المعنوي المتطور .

ان صوت ضميرنا يقول « اكمل نفسك » وهذا هو الواجب الاسمى المنضوية تحته كل الواجبات الاخرى ، وبما ان الانسان لا يمكنه السعي نحو الكمال بمفرده ، وبدون معونة الآخرين فالقاعدة العامة تكون « اعمل لتكون حياتك كاملة ، واعمل في سبيل كمال الآخرين » . وهذا الكمال المزدوج هو ايضاً الخير الكلي ، والسعادة الحقيقية التي يصحبها الرضى النفسي الداخلي ، والخير هو كل ما يمكن ان يفيد الانسان في سيره نحو الكمال ، وهو يختلف عن الشيء النافع ، والسعي نحو الكمال يؤدي الى السعادة الحقيقية ولكن هذه ليست هدفه الحقيقي ، اذ ان الكمال مطلوب لذاته . فالسعي نحو الكمال غريزة سامية اذا صح التعبير ، تنطلق دون ان تخضع دائماً للتجربة الحسية ، نحو مستقرها ومُثُلها .

والقانون الاخلاقي ليس مفروضاً على الانسان من سلطة خارجية ، بل هو صادر عن طبيعته الذاتية ، انه قانون طبيعي حتماً ، اراده الله هكذا ، ولكن الله لم يرد للانسان الا ما هو خير في ذاته .

ومهما لاحظ القارىء من بساطة هذه المعتقدات ، فقد كانت اسمى من نظرة القرن الثامن عشر الى الحياة .

والحرية في نظر ولف ، لازمة لتثبيت القيم الاخلاقية في نفس الفرد . ان الارادة لا يمكن ان تتحدد وتفعل بدون دوافع ، وهذه الدوافع مفروضة على ارادتنا فرضاً ، ولكن اسبابها راجعة الى العقل ، فالحياة وفقاً لمبادىء عقلية هي حياة حرة وعقلية ، كما ان افكاري ، وحركات جسمي ، واسبابها في ارادتي ، هي اعمال حرة .

وولف يستنتج « الحق الطبيعي » من معطيات الاخلاق . اما فلسفته الاجتماعية والسياسية فتجمع بين المحافظة والتحرر . فالفرد عليه ان يجهد في سبيل الصالح العام ، والمجتمع هو عبارة عن تعاقد يقومه المواطنون اصوالحهم الشخصية ، وللتنافس في الخدمة العامة ، والدولة المثلى هي الدولة التي تؤمن صالح الجميع مع تأمينها صالح الفرد والملكية المتزنة المحدودة هي افضل وسيلة لحكم الامة وقد سمح « ولف » للفرد بالتمرد على الاحكام الظالمة الخارقة للقانون ، ولكنه يرفض ان يعطيه حقه في بحث امور الدولة ! !

وقد ساعدت كتاباته في تركيز دعائم « الاقتصاد السياسي » .

اما فضل « ولف » هو انه طرح كل الاسئلة الفلسفية ووضع كل سؤال في مكانه ، وهو ، كما رأينا ليس صاحب افكار اصيلة جديدة ، فأفكاره مشتركة بين جميع الناس ، ولكن قيمته تتركز في تنظيم فكره واطلاعاته الشاملة الانسيكلوبيدية ، اذ انه يلوح لنا كباحث متجرد منقطع للنظر ، مستعد لتعريف كل شيء ، مطلقاً النور في طائفة من المفاهيم التي كانت قبله غامضة .

إنه خدم المانيا ، موطنه ، خدمات جلى ، وكانت كتبه لها بمثابة مركز اشعاع احتضن بانواره كل المعارف والفنون فليس عجيباً ان نرى الفلسفة الالمانية المعاصرة ، تدين له بالكثير .

محمد عيتاني

سحب وانقشاعات

بقلم محمد يوسف مقلد

.. لم يبق لي غير روحي !

وانه لشيء جميل وكثير هذا الذي بقي !

انه نجمة القطب في ليل المحن ، وخصوبة العيش في محل العيش ، وانسكابة الغيث في صحراء الظمأ .

البقاء البقاء لهذا الشيء « الجميل الكثير » .

انه الاطمئنان في استفحال العدوان ، وانس الاخوان في انقطاع الاخوان ، وسعادة الزمان في غصة الحرمان .

لم يبق لي غير روحي !

وهو خير ما بقي .

به استعيض كل خساره نفع : في العمر ، في المكسب ، في المطامح ، وفي جميع القيم .. « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » !

***

ليس الظلام الحالك ظلاماً اذا اضاءت الروح ، وليس الفقر فقراً اذا جادت الروح ، وليس حطام الدنيا كله ثراء اذا افلست الروح !

لمحك في الشدة فرج ، عينك في القحل ينبوع ، في الجدب خصب وغناء ، في السجن حرية وانطلاق !!

انت فرحي الاكبر الذي لا يحد ولا يوصف .

بحسبي اني بجميع مفارح الدنيا لا استبدل لحظة من لحظاتك الكبيرة الخيرة !

على هداك اسير فلا اضل ، وفي موكبك امشي فلا اتقهقر ، وفي زورقك ابحر فلا اخشى القرصان ولا تروعني النوتية الغلاظ !

انت الامل في انقطاع الامل ، والرجاء في امتناع الرجاء ، والايمان النير في ظلام الكفر !!

ان ثمنك باهظ ، ولكن ليس عند الذين يعرفونك حق المعرفة .. فيا لنفيسة كان شبابي لها ثمناً !!

غفرانك !

فلقد « ثمنتك » كما تثمن الحاجات والاشياء — لغة الاسواق — وانت الشيء فوق التقييم والتثمين

اقول للسحاب المنعقد في سماء نفسي انقشع ! اعميت بصري وابهمت طريقي !

ولكنه .. ظل يوماً ويوماً حتى صار آكاماً ، وسُدت آفاقي فصارت جهاما ..

وما هي الا رعشة .. حتى لمع وميض الروح ، فتفرقت السحائب بدداً ، واصبحت طرائق قدداً .

***

لم يبق لي غير روحي !!

وانه ليمن عظيم ، وخير عميم هو هذا الذي بقي .

انه نعمة السماء التي تحيل القطوب ابتساماً ، والخطوب سعادات واحلاماً ، وتحل في النفس الحزينة بدداً وسلاماً .

على رسلك ايتها الروح !

من هنا ، من متلفت العين ، من وراء الحرس الطائف ، والحواجز المضروبة على الجهات الاربع ، اطل على ذراوتك الرفيعة ، فاشرف منها على الحرية السليبة !

تمر علي الاوقات في غربتي القاسية كأنها عجلات القطار لشدة وطأتها ! ولكنك ، سرعان ما تحيلينها في نفسي الى مهرجان عظيم !

تلفت في ليل المحن لارى من كانوا حولي قبل حين فما وجدتهم ، ووجدتك .

اذا كانت آداب الحياة قد فرضت علينا حتى شكر الذين يسقوننا ماء ، فكيف بالتي تهب لنا الحياة حين تسلب منا الحياة ، وتمنح الصبر الجميل على المكاره وحين يقبح في اعيننا كل شيء جميل ، وتعمر قلوبنا بالاماني الكبار حين تنهار في نفوسنا جميع الاماني !

لما سبحت في العتمة استنرت بك ، ولما استهدفني القساة استعذت بك ، ولما شعرت الوحشة انست بك ، ولما يئست من العدل انتصفت بك . فاي سعيد انا ، واية آية انت !

***

لم يبق لي غير روحي .

الآن فهمت !

فالمسرات التي تحصل لنا من امتلاك الدور والقصور ، من الثراء والاحتواء ، ومن كافة الحظوظ المادية والمساعي الناجحة ليست مسرات ثابتة انها مسرات عارضة ، تزول بزوال اسبابها ، ولا يبقى بعدها سوى الاكتئاب الباهظ .

***

لم يبق غير روحي ، وليس بالقليل هذا الذي بقي !

انه « جوهر الوجود » ، انه ثروة من لا ثروة له ، خسرانه لا يعوض ، « وذلك هو الخسران المبين » !

لقد اتجرت طوال غربتي بما يتجر به الناس ، فما كان ربحي فيها ربحاً ، ولا مكسبي مع آفاتها مكسبا .

* فصل من « امالي الايام » المعد للطبع

الآن، وبعد ان اكلت الغربة من عمري، من خيرة عمري، ثلاثة عشر عاماً عرفت ما هي آلام الغربة :

انها ليس البعد عن الاهل . فالمرء اينما كان لا يعدم الاخوان الذين « لم تلدهم امه ». انها ليس النزوح عن ارض الوطن الذي درج عليه وابصر النور فيه، فالبلاد التي يهاجر المرء ويغرس فيها حياته وحيويته ونشاطه هي ايضاً وطنه، وطن حياته ان آلام الغربة كل ذلك . . بل انهـا هذا الاتصال الدائم بالماضي المنفصل الذي تشدك اليه الاشواق والذكريات . انها هذا « الفراغ » الكبير الذي تتركه الغربة في نفسك، كل اعوام غربتك .. تحاول ان تملأه بالحب، بالثقة، بالاطمئنان فلا يمتلئ ! انها هذا الشعور الرهيف الذي « يذكرك » في كل لحظة « انك غريب » حتى ولو كانت البلاد التي انت فيها كلها ملكك، انها حين تنزل بك نوازل الدهر في مرض او خسارة او عدوان او نحو ذلك من اضرار البدن والمال والنفس تنظر فاذا انت « غريب ». حينئذ تعي على نفسك، على حقيقة نفسك فاذا انت كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف !!

ومن آلام الغربة ما هو امر وأدهى حتى ليست الآلام المذكورة معه بشيئاً مذكوراً : انه شعورك الدائم بالذل وانت العزيز، واستشعارك الهوان وانت الانوف الكبير . ان الغربة في جميع بلاد العالم هي مجرد غربة مجرد بعد عن اهلك ووطنك وحسب . فلا يتصل بقلبك من آلامها غير ما يتصل بكل قلب مشتاق ولكن آلام الغربة في افريقيا آلام مضاعفة لما يباغتك من لؤم القلوب، وخبث طوية القوم، وما تشعر به حيالهم من ذل وهوان وقلة احترام !!

كم مرة تمنيت ان تنفتح الارض تحتي وتبتلعني لشدة ما اوذيت في عزة نفسي، وفي شرفي وكبريائي ! كم مرة سولت لي نفسي ان اهجم على هذا الحقير او هذا المغرض او هذا الفظ فاستل روحه من انفه، او اذيقه سكرات الموت رفساً بقدمي هاتين القويتين !! كم مرة طفر الدمع من عيني لا حزناً ولا خوفاً ولا رهباً . بل حنقاً وزمجرة وغضباً !!

***

لم يبق لي غير روحي !!
انها المنقذ الاعظم، انها الملاذ الاكبر انها الفرج الاقرب .

ملأت فراغي حين وجدتني في فراغ لا يملأه شيء . وانزلت على نفسي الراحة واسعدتها حين لم يكن ليريحني او يسعدني شيء !

طلعت علي طلوع المسيح على المرضى وذوي العاهات .

نزلت علي نزول جبريل على محمد .

اخرجتني من لحظاتي الآزمة كما اخرج يونس !

في سكون الليل، كسكون القبور حين لم يبق في الكون عين مفتوحة، ولا اذن مصغية كانت عيناي مفتوحتين حتى الحدق، واذناي مرهفتين حتى لو دب النمل على الارض لسمعته !

ويحي ! هـا هي ! نور يتجلى .. يسعى .. يغمرني ..!

واسمع همساً، هو همسها الحبيب الخافت .

يا عيني، يا اذني، اصدقتني الخبر !

تلفت نحو الحي حتى وجدتني
وجعت من الاصغاء ليتاً واخدعا !!

محمد يوسف مفلح

• توزع الاديب في •

لبنان سوريا العراق الكويت البحرين ايران عدن المملكة العربية السعودية المملكة الاردنية الهاشمية فلسطين اليمن حضرموت مصر ليبيا تونس الجزائر تطوان طنجة مراكش ليبريا السودان الحبشة ممباسا تزيجا غينيا الفرنسية الصومال الكامرون غينيا البرتغالية كران بسام موريتاني السودان الفرنسي السنغال ساحل العاج نيجاريا سرّاليون ساحل الذهب فرنسا سويسرا تركيا ايطاليا انجلترا كندا الولايات المتحدة المكسيك البرازيل الارجنتين شيلي بوليفيا الاورغواي الجوادلوب فنزويلا اوستراليا اندونيسيا الهند ملايا

الحب والليل

يا فؤادي قد تمطى الليل يطوي الكائنات
مقبلاً من عالم الذكرى خفي الخطوات
قد طوانا مثلما يطوي المراعي الناعسات
قم الى الليل .. فان الليل مرعى الامنيات
قم نحييه بألحان الاماني الباسمات
قم نغني لنجوم في ضميري خافقات
هذه الانجم احلامي .. واحلام فتاتي
هذه النسمة من روحي نداء في فلاة
عن عيون فيهما يا ليل موتي وحياتي
عن جبين فوقه شعر خفوق الظلمات
هالة الاسرار فيه كإطار الذكريات !
ضم فجراً عبقرياً قدسي اللمحات ..

يا ابنة الليل طوانا الليل فاصغي لي مليا
انت ظمأى وأنا يا اخت ظمآن فهيا ..
نعصر الليل بكأسينا .. فيندى القلب ريا
هأنا يا معبد النيران اغدو وثنيا ..
قد عبدت النار في حبي فهل آتيت غيا ؟
ما علينا لو مزجنا الروح بالجسم سويا ؟
افليس العطر من زهر طواه الترب طيا ؟
يا حبيبي أنا حر . غنني ما دمت حيا
غنني فالزهر فوق الغصن ما زال نديا
يبعث الحب مع الانسام عطراً عبهريا
غنني ما دام نجم الافق يرنو لي عشيا
انت حلم الكون في غوري .. بدا طيفاً سنيا

آه من اجفانك الوسنى ومن همس العيون
فيهما تنهيدة الشاكي وآهات الحزين
فيهما اغاءة الساهي بلا قصد مبين
فيهما اسطورة الدنيا وما خلف السنين
يوم كان الكون سراً بين احشاء السكون
يوم بث الله نور الفجر رمزاً للحنين
فيهما حلم يتيم راح يبكي باللحون
فيهما قد دارت الافلاك تجري بالقرون
فيهما لمسة نهد .. كم توارى عن عيوني
فيهما خمار موت .. خمره نار الشجون
فيهما بحر ولكن .. ضل في البحر سفيني

وسدي رأسي على نهديك في مهد الظلام
آه ما احلى سكون الليل في همس الغرام
وصلاة الثغر فوق الثغر من غير كلام
وخفوق الصدر فوق الصدر عربيد الضرام
انني أبكي .. وفي دمعي .. شعاع لابتسامي
فامزجي انفاسك الحرى بأنفاس المدام
اسكريني ادرك الاسرار من اخفى المرامي
عانقيني ألمح المجهول من خلف الغمام
معبري للغيب في عينيك يا دنيا هيامي
لست اخشى الريح تحدوني الى تيه الحمام
انا روح خالد الاشواق احيا في تسامي
انا خفق النور ، والنور سيحيا في اضطرام

عدت لليل وحيداً والدجى منفى الوحيد
ليس لليل حدود وأنا اين حدودي ؟ ؟
انا اعمى وهو اعمى .. والتقينا وسط بيد
يا نداء الريح في البيداء يا شكوى الطريد
انني احفر قبر العمر بالخطو الوئيد
وابتساماتي زهور النعش للحب الوليد
يا فتاتي انت في ليلي صدى ناي بعيد
عانقيني في ظلامي .. وصليني بالخلود
وأغفري للدمع ان صلى بمحراب النهود
ان دمعي قصة الدنيا وتاريخ الوجود
فاجعلي البسمة كفاً وامسحي دمع الشريد
خبئيني من فنائي وانزعي عني قيودي
انت خلدي فابعثيني للاماني من جديد

القاهرة — محمد الجبار

في الوحل

مهداة الى الصديق الكاتب البير اديب

بقلم الدكتور بديع حقي

اغمض ابو عبده عينيه السقيمتين كأنه يود ان يستأنف حلماً شارداً لا تزال بقاياه الحلوة تجاذب جفنيه وتغريهما بالغفوة ، ثم فتحهما في اعياء ، ومد بصره ، في الظلمة الحالكة ، الى ثلمة في زجاج النافذة الاغبر الوسخ المكسور ، ليستبين منها رقعة السماء. فألفى ضوءاً نحيلاً يتسلل منها ، وتأكد لديه ان الفجر قد لاح.

وكانت النافذة — وهي الوحيدة في هذه الغرفة — قابعة في اعلى الحائط وقد بدت بجوانبها المهدمة كأنها فم عريض كريه يتثاءب ، ورأى الى منتصفها قضيباً من الحديد ، قد التف حوله حبل طويل ثم تدلى وانعقد عند حافة النافذة عقدة كبيرة تشي بانه قد قطع مرة ثم وصل ، وانزلق طرفه الآخر من ثلمة زجاج النافذة المكسور الى خارج الغرفة ، وانصرف ذهن ابي عبده وهو يرامق الحبل بنظراته الى ذلك الجلجل الذي نيط به ، والى رنينه المزعج يتعالى كلما جذب الحبل الطويل بيده الوانية المرتعشة ، واخذت جسم ابي عبده الرعشة ، فقد تداعت الى خاطره ، صورة ثعبان يسعى الى وكره ، حين تلمست يده طرف الحبل المتطامن الى جانب فراشه ، وسحب يده ودسها تحت ظهارة الفراش .

وتأدى الى سمعه صرير الباب خفق اقدام ثقيلة ، اقدام زوجته لا شك ، واغمض جفنيه حتى لم يبق من موق عينيه الا خط ضيق يضطرب فيه سواد محجريه ثم فتحهما في فتور واخذ زوجته بنظرة فاحصة متسائلة ، وكانت واقفة الى جانب فراشه وقد وضعت يدها على خصرها ، في وضع من نفد صبره . وأراحت الاخرى فوق وجنتها ، وامتدت السبابة قريباً من الفم ، كأنها تومىء الى الابتسامة الساخرة التي كانت ترحف على شفتيها .

وكان الفجر قد متع ، فديك الجيران الذي كان يزقو صاخباً قد استوفى آخر صيحة ويئس « عنبر » القط الاسود البليد ، وقد اقعى الى جانب الفراش ، من اغراء فارة حمقاء في الخروج من وكرها ، فلملم اطرافه ، وارخى اذنيه وخر نائماً ، بيد ان بقية من عتمة الليل ابت ان تفارق حنايا الغرفة .

وَمَثُلَ في وهم ابي عبده ان ما يراه هو تتمة مزعجة لحلمه الشارد ثم تحقق ان عينه لم تخطىء . . انها زوجته . وشعر وهو يبلع ريقه انها قد اتت اليه ، في هذه الساعة المبكرة لتقوده الى الشنق او الى قدر مظلم آخر ، وهو شعور خفي يتسق في نفسه كل صباح ، حين تلمح عيناه ذلك الحبل الطويل .

وسك اذنيه ضحكة مجلجلة مرتعشة القرار ؛ لم يعلم على التحقيق معناها ، ولكنه ارتجف لها . . وفتح عينه اليمنى وترك اليسرى مغمضة كالطفل الخبيث يتصنع النوم ، فرأى ابتسامتها الساخرة تمحي وتنطفىء . ولمح في عينيها معنى التحدي . . غير انها لم تغير من وضعها ، فلا تزال يدها الى خصرها ويدها الاخرى مراحة على وجنتها ، ورأى شعرها الاشعث وقد جدلته في ضفيرة كبيرة ترامت فوق صدرها الوسيع معقدة سوداء اكثر اغراء بالشنق من هذا الحبل الملتوي على الحائط .



وتساءل في قرارة نفسه عمّ تبغي منه في هذه الساعة المبكرة تراه قد جذب الحبل، دون وعي، كما اتفق له ذلك مراراً في بعض احلامه المضطربة فاقبلت تلبي له طلبه.. لا.. ان يده اليسرى المفلوجة، لا يتأتى له ان يحركها، ويده اليمنى لا تزال تحت ظهارة الفراش، سيحمل له هذا اليوم ولا بد، اشياء جديدة، وحدثه قلبه في تلك اللحظة بانها اشياء خطيرة نذيرة بشر.

وسمعها تقول: سنذهب هذا الصباح الى المحكمة الشرعية، لقد حان وقت خلاصي منك ومن اسرك، لقد اكتفيت منك ومن خدمتك وانت مريض مفلوج، سيحكم القاضي بالطلاق، اسمعت؟ سيحملك عبده على ظهره، هأ.. هأ.. هي.. هي. وهل تنتظر ان تذهب في عربة؟. انه كالبغل، يستطيع ان يطير بك وانت على ظهره ان شاء، وان له، على غباوته، مزايا البغال هذا ما يعزيني، على الاقل، انني اوفر، بكتفيه القويتين، اجرة سيارة.

ونادت، في صوت مرتفع، مرتجف النبرة: عبده.. يا عبده واردفت: لعنك الله ما اكسلك!

وصر القط «عنبر» اذنيه، ثم تثاءب، لقد ايقظته بندائها العنيف من غفوة حلوة.

وتابعت ام عبده كلامها، كأنها تحدث نفسها: وهل تظن انني انتظر العدة بعد الطلاق، لا تزوج من «ابو محمد العشي»، سأدعو الشيخ مصطفى، غداً او بعد غد، وسيكتب «الكتاب» وبعد انتهاء العدة، اجدد الكتاب والافراح، انني اخشى ان تفسد عليّ ام محمد الامر، ستموت كمداً وحسداً وغيرة، سيطلقها ابو محمد من اجلي وسيكون نصيبها وحظها كنصيبك وحظك، اما عبده.. الابله، فسيكون من حصتك، سيعنى بامرك، رغم انفك انك لا تصدق بانه ابنك، اذا لم تصدق فدونك الحبل اشنق به نفسك، مرة اخرى ان شئت.

وكان يصغي اليها واجماً، سوى ان شفته السفلى كانت ترتجف كأنه مشف على البكاء، وارتعشت يده اليمنى، كأنما قد انعكس عليها خفقة قلبه الحزين، ونظر الى الحبل يتلوى كالثعبان، وهي تردد جملتها الاخيرة، اذا لم تصدق، فدونك الحبل اشنق به نفسك.. مرة اخرى.. وتداعت ذكريات بعيدة، الى ذهنه المتعب.

***

حين تزوج ابو عبده، منذ خمسة عشر عاماً، من فطومة كان يعد نفسه اسعد الازواج، فقد كانت فطومة تصغره بعشرين سنة، فجسمها غض طري، وهي منذ صغرها مترهلة، مكورة، وكان يحب السمينات، وهي الى هذا فقيرة، تقنع بالقليل، وكان يعد يوم قرن اليها غنياً فهو يملك هذا البيت الصغير الذي ورثه من ابيه، وهو يشتغل كحارس ليلاً في احد الاحياء المنعزلة القديمة من دمشق.

وكانت اكثر ايامه بعد الزواج عنيفة يسودها الخلاف، وكان يستعمل عصاه الغليظة، ان تمادت في المشاكسة، غير انه كان يعرف كيف يرضيها في الغد، بثمن ثوب او اكلة مشتهاة.. وقد لامه بعض اصحابه على زواجه من فطومة، كيف يقبل بهذه الفتاة زوجة له، وهي التي غازلت كل شباب الحي ولم يبق واحد منهم الا ضمها وقبلها بيد انه لم يصغ الى كل ما قيل، فقد كانت جميلة بعينيه، فهي ممتلئة سمينة، وقد ترهلت بعد الزواج، وظلت تحلو لديه، وان شبهها بعض الخبثاء من اطفال الحي بالجحش، هذا لا يهم لديه.

ولما وضعت زوجته فطومة، طفلاً، شعر بالسعادة تغمر قلبه، لقد اصبح له ولد، يرث لقبه وبيته الصغير وثروته المتواضعة، واضحى يشمخ بانفه حين يدعونه بابي عبده.

وقد شعر ابو عبده ان بعض رفاقه يبتسمون في سخرية مرة حين يلتقون به ويتغامز بعضهم كأن هناك سراً خبيئاً لا يدريه هو، ولم يكن ابو عبده ببساطته، ليتأتى له ان يفهم، لولا لسان ام شحادة وهي عجوز ثرثارة، تصطاد الاسرار وتتسلى في رواياتها،

مجموعات الاديب

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي:

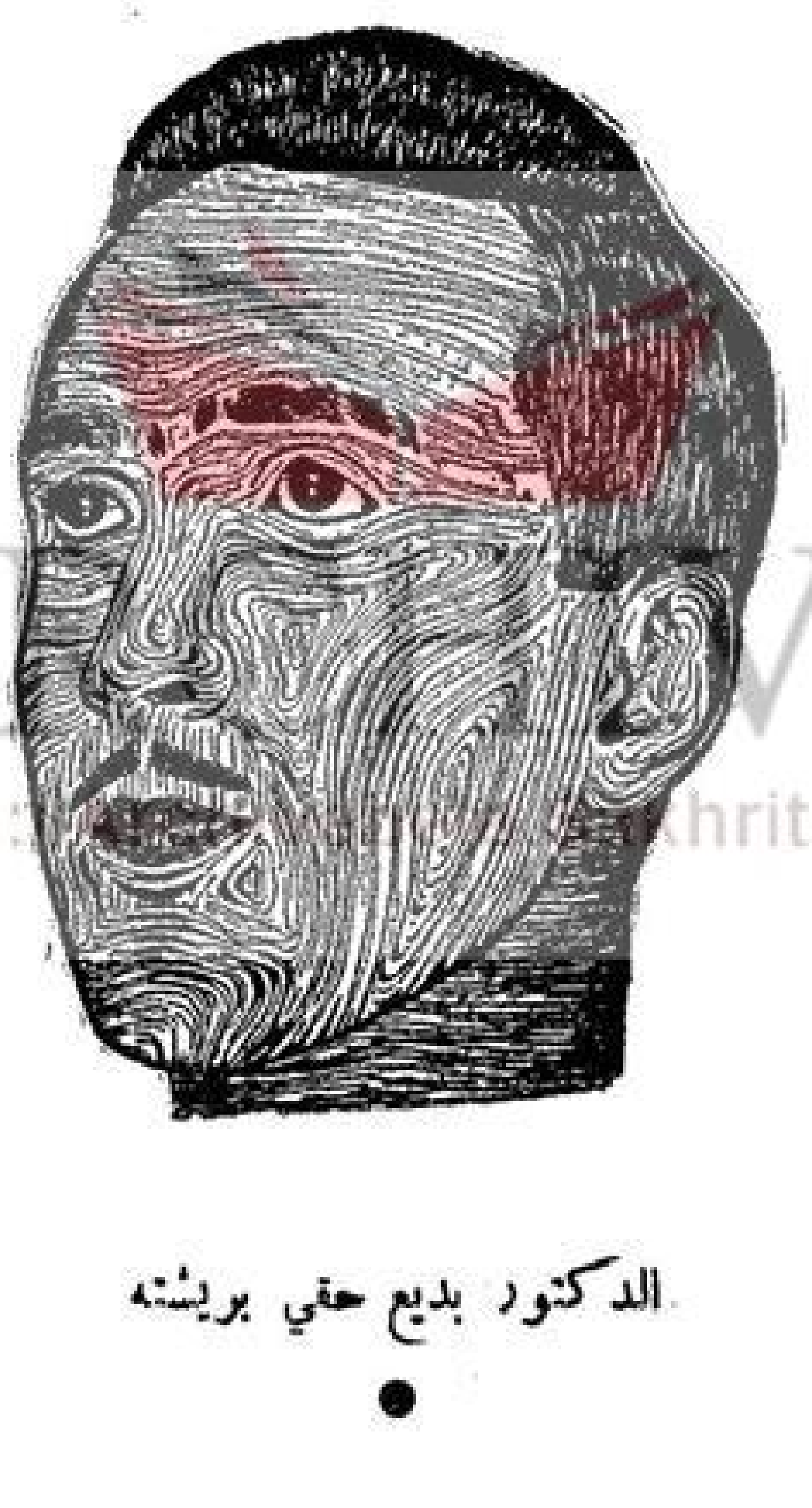
السنة		ليرات	جنيهات	دولارات
الاولى	١٩٤٢	٣٥	او ٤	او ١٦
الثانية	١٩٤٣	٢٥	» ٣	» ١٢
الثالثة	١٩٤٤	١٥	» ٢	» ٧
الرابعة	١٩٤٥	١٥	» ٢	» ٧
الخامسة	١٩٤٦	١٥	» ٢	» ٧
السادسة	١٩٤٧	١٥	» ٢	» ٧
السابعة	١٩٤٨	١٥	» ٢	» ٧
الثامنة	١٩٤٩	١٥	» ٢	» ٧

فقد اوردت له بعض ما يتهامس به رجال الحي ، من ان ابا عجاج شيخ شباب الحي ، وهو رجل مرهوب مخيف ، تستقبله فطومة بعد خروج زوجها ، الذي تلزمه وظيفته كحارس ان ينأى عن بيته طوال الليل .

وذكرت له بعض ما تناهى الى سمعها من ان عبده، هو وليد تلك العلاقة الاثيمة ، وان بعض الشباب يجرءون في مجالسهم ان يلغطوا في خلق زوجته، فقد تركها الآن شيخ شباب الحي وهجرها، فلا خوف من شره وبأسه ، وانها قد اتخذت لها عشيقاً آخر، لعله ابو محمد العشي ، فما تستطيع ان تتأكد من ذلك الآن .

ولم يكن عبده بالولد الذي يباهي به او يشرف به اسمه فقد بدت عليه امارات البله منذ صغره ، بيد ان هذا الخبر ، افقده وعيه ، وانه ليذكر كيف هرع الى البيت ، بيده عصاه الغليظة التي يستعملها في الحراسة، ويذكر كيف انهال على زوجته ام عبده ضرباً متداركاً شديداً دون ان يستوضحها شيئاً ، لقد خيل اليه وهي تتلقى ضرباته العنيفة ، انها ادركت خطيئتها فهي تتلمس قدميه لتقبلها وتسأله العفو ، لقد تبدت لديه كالحشرة القذرة ، فينبغي ان يسحقها ، حتى تموت ، لقد تجمع اضربة يائسة مسددة الى الرأس ، وهوى بعصاه المدببة ، ورآها تتهاوى والدم يشخب من جبينها ، وقد فقدت كل وعي ، وخيل اليه انها ماتت ، وانطفأت معها سعادته ، فما قيمة الحياة لديه ، ورأى عبده وقد انكمش في زاوية من زوايا الغرفة ، وهو يبكي ، وتمنى لو يقتل هذا الطفل ، لكن يده لم تطاوعه لقد فقد كل امل ، اجل فما قيمة الحياة لديه ؟

ومرت في ذهنه صورة الحبل، يربط في قضيب النافذة ، ثم يعقد في العنق وتنتهي الحياة بعد ذلك في لحظة . . واندفع كالمجنون الى حبل معلق ، فشده الى قضيب النافذة ، ولم ينس ابداً نظرة عبده ، المرتعدة ، وهو يلف الحبل في عنقه. ومرت تلك اللحظة العنيفة ، فلم تنته معها حياته لحسن حظه او لسوئه . . ووقع ارضاً



الدكتور بديع حقي بريشته

مغشياً عليه ، وقد نقل الى فراش المرض ، ليقاسي الفالج ، لا يستطيع الكلام والحركة، سوى ان جفنيه كانا يومئان ويخفقان، ويشيران الى ان هذا الجسم الواني المحطم البائس لا تزال فيه دماء الحياة ، وكان يموت شيئاً شيئاً ، بيد انه كان يشعر بانه سيرى احداثا جمة قبل ان يظفر بميتته السعيدة المنتظرة .

اما زوجته ، فلم تمت ، على قسوة ضرباته واحكامها ، وقد لأمت جراحها ، سريعاً ، وعلقت ام شحادة العجوز الثرثارة وهي تروي الخبر بان ام عبده كالقط «عنبر» لها سبع ارواح، ان فقدت روحاً ، انبثقت روح اخرى في اهابها .

وظلت العصا الغليظة في زاوية الغرفة العالية تعتمد عليها ام عبده في زجر عبده وتأديبه ، اما ذلك الحبل المشؤوم فقد وصل طرفاه بعد انقطاعه ، وتعلقت به فائدة جليلة ، فقد جعل طرف منه في متناول يد ابي عبده وهو، ملقى في فراشه ، ثم تطامن طرفه الآخر وسعى ، وزحف كالثعبان الى الحائط ، والتف حول قضيب النافذة ، ثم انزلق من زجاج النافذة المكسور ، ليشد جاجلاً اصفر ، ينعق كلما تحرك في رنين مزعج كئيب حزين.

***

وقف عبده في وصيد الباب ، مرتبكاً حائراً ، وتقدم باشارة من امه ، في مشية متزايلة ، حتى دانى فراش ابي عبده وظهر على ملامح وجهه الساذجة البسيطة ، انه مشغول بوساوس واوهام بعيدة ، فهو يبتسم ابتسامة بلهاء ، وينظر الى امه نظرات جامدة، وكان في وقفته تودد ، متقياً ان يقترب من امه كثيراً، كأنه يفرق من لطمة مفاجئة ، وبدت له فكرة حمقاء ، فأخذ يصفق تصفيقاً حاداً متواتراً ، وجعل يضحك ضحة مرتجفة القرار ، بيد أن امه بادرته بصفعة ، وظهرت آثار اصابعها على وجهه، في خطوط قانية الى جانب خطوط اخرى باهتة ، باقية الاثر .

انه لا يعلم لماذا يدعونه « بالاجدب » فهو يصفق او يضحك دون سبب ما وعلى الغالب حين يجد امام عينيه ما يستثير فضوله، او حين يقدم له صحن الطعام. وكان يتلقى صفعات امه القاسية ،

دون ان يدرك انه مذنب ، كل ما يستطيع ان يحدد له معنى في خاطره ، هو انه يفهم ان يقبل حين ينادى باسمه ، وهو يدري ان يشتري بعض الحاجات لامه، وما يتردد ان يأكل بعض ما يكلف بحمله ، وكان يفهم الى هذا ، حين يسمع الجلجل ، ينعق ويرون ان والده يبغي طعاماً او ماء او دواء ، ولعل بعض الذكريات المؤسية ، لا تزال تكمن في حنايا رأسه ، فقد عمد مرة الى الحبل المتدلي من النافذة ، فلفه على عنقه، يريد ان يقلداباه ،وقدادركته امه في اللحظة المناسبة خائفة مرتعشة ، وقد القى هذه التجربة سائغة شهية، فهي لا تخيفه ابداً بل تخيف امه كثيراً ، وكان يعمد اليها ، حين يرغب في الانتقام من امه او حين تهيج في نفسه نزوة عابرة حمقاء .

وكان وحشي الطبع، فلم يأتلف الا مع القط عنبر ، وقد سرق لاجله مرة من باب احد البساتين ، جلجلا ، اصفر غريب الرنين ، وجعله حول عنقه ، لولا ان امه حرمته من هذه المتعة ، وضاقت برنين الجلجل يتعالى كلما تحرك القط ، ووجدت للجلجل فائدة جليلة ، فناطته بالحبل المشؤوم ، المتدلي من النافذة .

وفرك عبدة عينيه ، وكان يهوم من النعاس ، رغم لطمة امه ، انه لا يدري لماذا تناديه في هذا الصباح الباكر، وسمعها تقول :

— ستحمل اباك الآن على ظهرك ، لنذهب الى المحكمة الشرعية ، البس حذائيك ،« وطاقيتك » سريعاً .

ولم يفهم معنى المحكمة الشرعية ، وقد اثارت فضوله هذه الجملة، ولعله قد ظن انهم ذاهبون الى «سيران» فصفق بيديه الغليظتين، تصفيقاً حاداً متواتراً ، وجعل يضحك ضحكته البلهاء .

***

كان عبده وعلى ظهره ابوه ، يسير في تؤدة وهدوء، فقد كانت امه وهي تمشي خلفه بملاءتها السوداء ، تزجره كلما مد في خطواته ، وكان ، على العبء الذي ينوء به فوق ظهره ، يسعى خفيفاً نشيطاً، والنّصفة تقضي ان لا تلام امه في تفضيلها ايام على السيارة ، فقد كان في فراهة البغال .

وكان ابو محمد العشي ، زوجها المقبل، يسير الى جانبها ،وهو رجل في العقد الرابع من عمره ، هضيم الوجه قمي، وقد بدا على قسمات وجهه ، الوجوم والانقباض ، فلم تكن نفسه ترف الى زواجه الجديد ، وقد تعثر في سيره بحجر وكاد يقع ارضاً ، وسمعها تقول غاضبة متأففة — اما ترى جيداً .. العمى ضربك .

وتشاءم ، ابو محمد ، وشعر ان قدره مع هذه المرأة لن يكون اسعد من قدر زوجها الاول ، ابي عبده ، غير انه لا يدري كيف وعد ام عبده بالزواج بعد طلاقها من زوجها المريض، فهو متزوج وله اولاد ثلاثة اكبرهم في العاشرة من عمره ، ولا يدري كيف وعدها ايضاً بتطليق زوجته ام محمد ، الم تسع للطلاق من زوجها لاجله،الانصاف يقضي اذن ان يسعى لتطليق امرأته لاجلها، ثم ان ام عبده ، على شراستها ، خير من زوجته فلها بيت بثلاث غرف ، ولها ولد يشتغل كالبغال وعدا هذا فام عبده سمينة مترهلة ، وهو مثل ابي عبده يحب السمينات من النساء .

وكانت ام عبده، تستأني في سيرها ، كأنها واثقة من الوصول الى غايتها في الموعد المحدد ، لقد كانت تتردد في السعي للطلاق من زوجها خشية ان يذهب البيت من يدها، بعد موته، وكانت تنتظر ميتته المنتظرة كل يوم ، ولكنه يأبى ان يموت، كيداً بها ونكاية ، وهو منذ خمس سنوات لزيم الفراش ، تسمع انينه ، يواكبه رنين الجلجل ، لا يني ينعق طوال اليوم.

وكانت ، الى هذا، تخاف ان تمهلت وانتظرت اكثر من هذا، ان يذهب من يدها ابو محمد العشي،وهو متزوج، وزوجته ماكرة، تفسد عليها خطتها ان لم تتعجل امر الطلاق ، وكانت موقنة انه سيطلق زوجته ، فهي تأبى ان تعيش مع ضرة في بيت واحد.

اما البيت فسيرثه حتماً ابنها عبده ، عبده الابله « الاجدب » وستكون هي وصية عليه ، ومن يدري لعل عبده يموت قبلها فترث ابنها، لقد سألت وتحققت ، ووكلت محامياً، اغراها كرشه البارزة، بانها ممتلئة بالعلم ، ولقد انبأها المحامي « حسن المحتشم » عن موعد الذهاب للمحكمة الشرعية، وأكد لها بانها ستنال، حكم الطلاق، فزوجها معاول مريض مفلوج، وسيحكم القاضي بالطلاق سريعاً .

وكان ابو محمد العشي، قد رافقها ، بعد ان الحت عليه بالمجيء لتريه كيف ينبغي ان يطلق هو زوجته الاولى ، وقد رضي ان يأتي الى المحكمة معها ، بدافع الخوف او الفضول ، وكان يسير الى جانبها كظل مسيخ لها .

***

اجال ابو عبده عينيه، وهو على ظهر عبده ، في الفضاء الواسع، ثم زفر زفرة عميقة ، واحس بسرور داخلي ، لم يدرك له كنهاً، انهم ذاهبون الى المحكمة الشرعية، وسيحكم القاضي بالطلاق، انه لن يمانع ابداً ، سيصبح هو الآخر حراً ولن يأسف على شيء .

ولم يكن يصغي الى ثرثرة ، ام عبده ، كما انه لم يشعر بالغيرة، في تلك اللحظة ، لقد كان يلمح في نظرات ابي محمد العشي القلقة المضطربة معنى الذل والانكسار انه مثله ايضاً ضحية هذه الامرأة ولم يكن ليكره عبده ، الابله المعتوه ، فقد كان يثير في نفسه الشفقة ، كل ما كان يكرهه هو انه سيورثه اسمه ولقبه ، اما بيته الحقير فقد كان يود من اعماق قلبه ، ان يورثه الى عبده .

ولما مر به عبده في الحي ، حيث كان يلتقي باصحابه ورفاقه ورأى بعض معارفه ، يهزون رؤوسهم ، في ابتسامة ساخرة ، شعر بانه شيء حقير . . حقير جداً ، ولم يستطع في تلك اللحظة ان يزجر دمعة قد انسربت من عينه، وكان عبده ، يضحك ضحكته البلهاء، وقد خيل اليه ان اباه يبكي بكاء مكتوماً متقطعاً ، فكف عن الضحك ، تراه شعر بانه يحمل على ظهره ، رجلاً بائساً ، لقد كان هذا النهار عجيباً غريباً يثير فضوله ، ولكنه لم يحاول ان يفهم ، بل تابع سيره في صمت .

***

كانت اكثر غرف المحكمة الشرعية مقفلة ، في تلك الساعة المبكرة ، حتى « المباشر » لم يأت بعد، ولم يكن ثمت سوى بعض النساء ، جئن ولا ريب باكراً من احياء بعيدة ، وجلس بعضهن على الارض ، وعيونهن ترمق باب المحكمة ، وقد القى، ابو عبده في زاوية حقيرة، على الارض وجلست ام عبده القرفصاء الى جانبه، وانظارها تهفو الى الباب ، وقد بدا عليها انها قلقة ، فهي تجد ان القاضي قد تعمد التأخر هذا النهار ، نكاية بها وقد بصقت ، وقذفت في الفضاء بلعنة وشتيمة جريئة ، وسمعها ابو محمد الذي انكمش قبالتها ، لا يحير ولا يتكلم .

واحس ابو عبده برطوبة الارض تسري في اوصاله، فلم يزعجه ذلك واغمض جفنيه ، وقد شعر بحاجة ملحة الى البكاء، والتاثت خواطره وتشعبت ، ولم يعد ينتبه الى شيء . وصافح اذنيه صوت المباشر الضخم ينادي اسمه وينغمه فتح جفنيه وانتظر في استسلام ان يحمل مرة ثانية على كتف عبده ، وجاز به عبده المحكمة وهو يضحك .

ورأى الاحداق تتجه اليه، فارخى ناظريه ، ومرت فترة طويلة لم يكن يعي فيها كل ما يدور من كلام ، وكان يجيب بايماءة من رأسه او جفنيه على كل سؤال ، انه لا يمانع في الطلاق، ولمح وجوهاً عابسة منقبضة ، تتأمل فيه ، ورأى القاضي ، ولفته البيضاء، وسمع حكمه بالتفريق ، واغمض جفنيه ، وقد شعر بالتعب والوهن ، ولكن قلبه اخذ يخفق بشدة . وتنهد بعمق ، كأنه قد تخلص من

كابوس يجثم فوقه، تراه سعيداً، انه لا يدري، لقد اضحى الآن حراً، ولكن جرحاً عميقاً في مطاوي نفسه لم يلتئم بعد.

***

هيأت ام عبده كل شيء ليكون العرس في اليوم الثاني من نوالها الطلاق المنشود، لقد كانت تخشى ان تفسد عليها ام محمد خطتها، وتضع امامها العقابيل والصعوبات، وقد اسرت بمخاوفها لام شحادة العجوز، ورجتها ان تذهب في استدعاء الشيخ مصطفى مؤذن الجامع، وتجلو له الامر وتضع في كفه خمس ليرات سورية قمينة باقناعه، بالمجيء لقراءة الفاتحة، وعقد «كتاب» موقت، وبعد انتهاء العدة، — وقذفت ام عبده، وهي تلفظ هذه الكلمة، بلعنة صاخبة — ستجدد الكتاب والافراح والاعراس في المحكمة وطلبت اليها ان تمر في طريقها، على شيخ شباب الحي، ابي عجاج لتدعوه الى حضور «الكتاب» لا يهم لديها انه كان، فيما مضى، عشيقها القديم، ولعلها رغبت في دعوته، لتسم الكتاب بشرف حضوره، فهو شيخ شباب الحي وله قوته وباسه وسلطانه، كما طلبت الى العجوز ان تدعو، صياح القهوجي، فقد وعدته بان تؤجره الغرفة المظلمة السفلى التي ينام فيها ابو عبده، وذلك بعد ان يموت، وقد الفت من اللياقة ان تدعو جارها المقبل في هذه المناسبة السعيدة، وارسلت ام عبده، ابنها الابله، ليحمل اليها ثماني صحون «كشك الفقراء» لتقدم الى الحاضرين، بما فيهم ابو عبده، وكانت قد دفعت ثمنها، مقدماً، عند رجوعها من المحكمة وذكرت للبائع، بان ابنها هذا «الاجدب» سيأتي في طلبها، وكانت خواطر ام عبده واحلامها المعسولة، ترحف على الدرج، وتستقر في تلك الغرفة العالية، الغرفة التي ستتذوق فيها، ليالي العرس الحلوة مع ابي محمد.

وكانت قد وضعت على شفتيها طبقة سميكة من احمر الشفاه، وطلت وجهها بالمساحيق والسلياني، وضفرت شعرها في ضفيرة عريضة طويلة، لا تزال تغري بالشنق، وبرقت عيناها جذلا، وهي تمتحن مرآتها، ثم وقفت في اسفل الدرج، تنتظر مجيء الشيخ مصطفى. وكان ابو محمد، في الغرفة العالية، ينسق الكراسي، واجماً، وهو يسارق النظر ام عبده من النافذة، قلقاً، مضطرباً كأنه سجين ينتظر غفلة حارسه ليلوي باذيال الفرار

وبدا لام عبده خاطر افزعها لقد اطالت ام شحادة غيابها، تراها قد ذهبت لتنبيء ام محمد بالامر، انها تعلم ان هذه العجوز اخطر ثرثارة في الحي كله.

ولكنها اطمأنت، وزالت مخاوفها، وهي تسمع صوت الشيخ مصطفي وسعلته المعهودة وضربة عصاه في الدهليز، ووضعت على رأسها طرحتها واستقبلت الشيخ، في ترحاب، وكان يرافقه شيخ شباب الحي، وصياح القهوجي، وسعت وراءهم ام شحادة، وعلى فمها تختلج ابتسامة ماكرة.

وكان شيخ شباب الحي، قد تعهد شاربيه المعقوفين «بالكوزماتيك» وارتدى افخر سراويله، ولم ينس وهو يحيي ام عبده، ان يغمز بعينيه غمزة لا تخلو من دلالة.

واقتادت العجوز القادمين الى الغرفة العالية، وظلت ام عبده في اسفل الدرج تنتظر مجيء عبده بصحون «كشك الفقراء» واستيقظت مخاوفها من جديد، فقد تأخر عبده كثيراً، ومرت في بالها صورة مزعجة، فقد تخيلت ان ابنها قد غفل عن هذه الصحون فهوت على الارض وتحطمت، واخزيتها امام هؤلاء الضيوف، وقذفت ام عبده بلعنة، وصعدت الدرج، وهي تلهث تعباً وغضباً، والعرق يتحدر من وجهها، ويزيل اصباغه ودهانه، ويجرف الطلاء الاحمر الداكن على شفتيها، ويتسلل في خطوط حمر باهتة بشعة الى اطراف عنقها.

واتخذت ام عبده سمتها، نحو العصا، عصا زوجها القديم، وكانت منذ زمن بعيد لم تجر على طرفيها اي ضربة وامسكت بها ام عبده، ولوحت بها، مهددة مزمجرة، ثم اقسمت ان تجرم ابنها من صحن كشك الفقراء، وكانت تعلم ان هذا العقاب اوجع من ضربة العصا.

وتناهى الى سمعها وقع اقدام، في دهليز البيت، لقد أتى عبده ولا شك، واجرت على لسانها لعنة اخرى، وكانت واقفة في اعلى الدرج، تترقب مجيئه، ورأت ابنها عبده يدخل ووراءه سبعة صبيان، بيد كل منهم، صحن فارغ.

— اين كنت يا ابن الكلب، واين صحون كشك الفقراء؟.

ولم يجب عبده بل نظر الى امه نظرة بلهاء، ثم تراءت له خاطرة حمقاء، فجعل يضحك، ويفحص الارض بقدميه.

وغمغم طفل في صوت خفيض متقطع:

— لقد دعانا عبده الى بستان القنوات، لنأكل معه صحون كشك الفقراء، ثم جئنا الى هنا، لنلعب لعبة الاستخفاء. وكانت هذه المصيبة، اجل من ان تتحملها ام عبده، فأخذت ترتجف وقد تأدى هذا الخبر الى الحاضرين، نقلته ام شحادة في سرعة البرق، فوجم ابو محمد، وكف ابو عجاج عن فتل شاربيه، وتأفف الشيخ مصطفى وجعل ينظر في ساعته، ثم صرخ.

— ام عبده يا أم عبده، سيؤذن المغرب بعد ساعة. سابدأ الفاتحة الآن.

وكانت ام عبده ذاهلة عن صراخه ، لقد اعماها الغضب ، ثم هبطت الدرج في سرعة البرق ، والعصا بيدها ، في تلك اللحظة ، شعر عبده بانه مذنب، فقد وضع يده على رأسه، متقياً ضربات امه، وقد شحبت ضحكته البلهاء على شفتيه...

وامسكت به ام عبده من شعره واقتادته الى الغرفة المظلمة حيث يرقد المريض المفلوج ، ثم دفعته الى داخل الغرفة واوصدت الباب وراءها. وفتح القط «عنبر» جفنيه وصر اذنيه وكان يرقد الى جانب المريض، ورأى في يد ام عبده العصا ، وهي داخلة، وحسب انه هو المقصود بها ، فعاد بكرسي حقير واختبأ تحته.

وكان ابو عبده يرى الى ضربات العصا ، تتوالى على قفا عبده وهو يصرخ متوجعاً وتداعت الى ذهنه ، ذكريات مؤلمة وتركت ام عبده، ابنها، بعد ان انهكها الضرب وشفت غليلها منه، واخذت العصا ، ثم غلقت الباب خلفها... وكف عبده عن البكاء، ثم نظر حواليه ، نظرات جامدة ورأى الحبل المشؤوم، يزحف كالثعبان على الحائط وانبثقت في ذهنه صورة قديمة لم تزل كامنة ، صورة ابيه وهو يعمد الى الحبل، فيلفه على عنقه ، صورة جسم يتدلى ثم يقع، صورة تخيف امه كثيراً.

وتقدم من الحبل في خطوة متعثرة متزايلة بلهاء..

ابتدأ الشيخ مصطفى يتلو ما تيسر من القرآن، في صوت متهدج واضطرت ام عبده ان تكف هنيهة عن ارسال بذاءتها ولعناتها ، وظهر عليها انها لا تزال مغضبة حانقة .

وكانت جالسة قريباً من الباب ، والى جانبها ام شحادة العجوز ، تنظر تارة من خصاص الباب وشقوقه الى الحاضرين، وتارة تنظر في قلق ، الى الدرج كأنها تنتظر قدوم شخص.

ولم يكن الشيخ مصطفى ندي الصوت ، وان كان مؤذناً ، بل انه خيل لام عبده ان صوته جميل ، فنسيت كل ما جرى لها ، وجعلت تتمايل طرباً وقد تسلقت على شفتيها ابتسامة عريضة، وظهرت اسنانها وقد خالط بياضها صباغ شفتيها الاحمر فكأنها في تلك اللحظة حيوان ضار ، لا تزال دماء فريسته تسيل على انيابه.

وتناهى الى اذنيها ، صوت الجلجل ، ينعق ، في رنين غريب حزين ، وتعالى صداه ثم انطفأ، كحشرجة تذوب على شفتي منازع، واطلقت ام عبده لعنتها واردفتها ببصقة ، ثم عادت الى احلامها.

وطرق الباب ، طرقات متتابعة شديدة، وكانت ام عبده مستغرقة في اوهامها الحلوة ، فلم يبد عليها انها سمعت ، لولا ان ام شحادة ، نهضت مسرعة خفيفة وسعت الى الدرج قبل ان تنتظر امراً من ام عبده لتفتح الباب لهذا الطارق المزعج.

ومرت هنيهة ، كانت خلالها ام عبده تسارق النظر من شقوق الباب ابا محمد الساهم الواجم .

ثم ارهفت اذنيها ، فقد سمعت عويلاً وصراخاً ، وانتسف وجهها وانكفأ لونه ، رغم الصباغ الذي طلته به.

لقد اتت ام محمد ولا ريب لتفسد عليها هناءتها بعريسها الجديد وكف الشيخ مصطفى عن القراءة، ليسأل عن سبب العويل ، وخرج ابو محمد من الغرفة وهو يرتعش.

وبادرت ام عبده الى العصا الضخمة ، فامسكت بها ، ووقفت في اعلى الدرج وهي تنظر الى ام محمد من عل ، نظرة تحد ومناجزة.

وكانت ام محمد ، قد استندت الى الحائط في اسفل الدرج ، وحملت على يدها طفلاً صغيراً ، جعل يواكب بكاء امه وعويلها ، بنحيب متقطع ، ووقف الى جانبها طفل في العاشرة وقد امسك

في راحته بحجر، كأنه يستعد للدفاع عن امه، وتمسك طفلها الثالث باذيال ملاءتها.

لقد اتت، لتفسد على ام عبده خطتها اللعينة، وما يهم لديها ان يكون «الكتاب» غير معتد به في المحكمة، فانها تعلم انه سيلازم زوجها ويقيده، لقد عقده الشيخ مصطفى مؤذن جامع الحي وحضره ابو عجاج شيخ الشباب.

وكانت امارات اليأس والالم، تبدو جلية على وجهها، فقد الفت سعادتها تتلاشى وتتحطم امامها.

وبصقت ام عبده، على ام شحادة، وكانت واقفة في اسفل الدرج:

— آه يا عجوز النحس، انت التي اخبرت ام محمد بان العرس سيكون اليوم لا يهم لدي، سننهي «عقد الكتاب» اليوم، شيخ مصطفى يا شيخ مصطفى، اقرأ الفاتحة بسرعة. وقذفت ام محمد بصرخة داوية، وبكى طفلها، في صوت عال، غلب على صراخها.

وتابعت ام عبده:

— لقد طلقت زوجي من اجل ابي محمد، وسيطلقك انت ايضاً وستموتين كمداً وحسرة.

ونفرت دموع غزار من عيني ام محمد وصرخت في وجه زوجها وكان واقفاً الى جانب ام عبده لا يريم.

— اصحيح هذا، اصحيح هذا، اتتركني بسبب هذه الامرأة التي خانت زوجها الاول والتي ستخونك انت ايضاً.

وتلفت ابو محمد حواليه، خائفاً مرتعداً، اي قدر عاثر مظلم ينتظره مع ام عبده لن يكون انضر واسعد من قدر زوجها الاول المفلوج.

وسمع ام عبده تتجه اليه بقولها.

— دعها وشأنها، ولنكمل الآن عقد الكتاب، اقرأ الفاتحة يا شيخ مصطفى.

ومد ابو محمد قدمه يريد ان يهبط الدرج، لقد ساق له القدر، زوجته لتنجيه من براثن ام عبده.

ولمحت ام عبده، عزمه وصرخت.

— اتتركني يا ابن ال...

فلم يرد عليها وخطا خطوة ثانية، والفت ام عبده احلامها كلها تنتسخ في هذه اللحظة، ها هوذا يتركها، في يوم العرس. وهاج الغضب في اقطار نفسها، ورفعت يدها بالعصا في ضربة محكمة مسددة.

ولم تجد صرخة ام محمد وتحذيرها، فقد هوت العصا على رأس ابي محمد. كانت ضربة نافذة، تلخص فيها اليأس والحقد، وضراوة الحيوان الذي يريد ان يستأثر بفريسته.

وهوى المسكين، الى اسفل الدرج، وارتطم جبينه في سقوطه بحافة الدرج الحجري وشخب الدم من رأسه غزيراً، وارتفع عويل ام محمد، والقى ابنها محمد بالحجر على ام عبده، فاخطأها واصاب زجاج النافذة فحطمها، وصرخت ام شحادة، وبكى الطفل وخرج الشيخ مصطفى، وابو عجاج، وصياح القهوجي، وتحلقوا جميعاً ام عبده، وكانت قد اتكأت على العصا، ووقع غطاء رأسها على الارض، وتحدر العرق من جبينها، واخذ صدرها يعلو ويهبط، ولم تفارق نظرات التحدي عينيها المحمرتين.

وقالت ام شحادة، في تأثر، وكانت محنية على ابي محمد وهو ممدد على الارض وزوجته الى جانبه:

— احسب انه مات، فقد خمدت كل حركة فيه، ان جرح رأسه عميق بالغ، لقد اودت به اللعينة الى الموت، ثم رفعت رأسها، وصرخت في ابي عجاج.

— احبسوها في هذه الغرفة المظلمة، غرفة ابي عبده، فليس فيها نافذة لتهرب منها، وسأذهب، في سرعة، لآتي بطبيب وشرطي.

***

اجافت ام شحادة، باب الغرفة، في نزق، وكان ابو عجاج قد اوثق يدي ام عبده فدفعها الى الداخل في عنف وهو ينظر اليها نظرة شماتة واحتقار، وخلصت اليهم، من داخل الغرفة، رائحة كريهة غضة، ولما دخلت ام شحادة وابو عجاج اثر ام عبده، تبينوا على الحائط رغم ظلام الغرفة، جسما يتدلى، وبدت النافذة القابعة في اعلى الحائط كأنها فم كريه يتثاءب، وقد امتد الحبل، من فجوة زجاجها المكسور، وزحف الى الحائط كالثعبان ثم شد حول العنق، جسماً هامداً، لا حياة فيه.

وكان الكرسي، ملقى الى جانب قدميه، ورقد القط عند تحته وهو يلهو بفأرة حمقاء خرجت من وكرها.

ونظرت ام عبده الى ابنها المشنوق، نظرة مخيفة جزعة يائسة، لقد اضاعت كل شيء، لقد قتلت ابا محمد، عريسها المنتظر، وشنق ابنها نفسه وذهب ميراث البيت من يدها، وتهيأ لها قدر مظلم عاثر في السجن.

اما ابو عبده فما زال حياً، في هذا الوحل القذر من المرض والقتل والموت، لقد كان جفناه يتحركان، وقد صوب عينيه الى الابله المشنوق، في نظرة حسيرة، كأنه يتمنى لنفسه ايضاً هذا المصير.

بديع حقي — برن - سويسرة

رباعيات جديدة

●

عجبنا منك تمعن في اذانا ونحن نذد عنك الحانقينا
ورثتَ ، فلا تباهِ الناس، واشكرْ شفيعيك : الولادة والمنونا
وكان ابوك شهماً اريحياً فكيف نشأت كز الكف دونا
فاما ان تصير فتى كريماً واما ان نسيء بك الظنونا

***

تفوتك اذ تشكو الزمان حقائق تبيّن منها شحه وسخاؤهُ
فللدهر انصاف ، تراه ، لجهلنا وغاياتنا ، ظلماً يَمر بلاؤه
فرب غنيٍ نفسه نفس مجرم يكف الاذى عني وعنك ثراؤه
ورب فقير هانىء رغم فقره اذا بات ذا مال تلاشى هناؤه

***

خدعةً ، يذرف الدموع ويرثي لبلاد تئنُ جوعاً وأسرا
قد عهدناه ، كلما جاء غاز هاتفاً باسمه ليقبض اجرا
يُعرف الخائنُ الزنيم ولو ألبسه الخبثُ من دجى الليل سترا
أرأيت الفجور يعرض جسماً هكذا تعرض الخيانةُ فكرا

عاصمة الارجنتين

الياس قنصل
من الرابطة الادبية الارجنتينية

الحياة واللغة

بقلم ابراهيم العريض

☆☆★

٢ – المشبه والمشبه به

بقسم اصحاب المعاني الجملة الى خبر وانشاء.. .نظراً الى ما قد تحتمل – او لا تحتمل – من صدق او كذب. ويأتي بعدهم البيانيون فيقيمون نظريتهم في البلاغة على اساسها الثابت من التشبيه. وما دمنا قد جاوزنا الكلمة الى تأليف الكلام فقد آن ان ننظر كيف انوجه الاسناد في الكلام يتجاوز الموضوع الى ذات المتكلم نفسه – وذلك على اوضح صوره – من خلال « التشبيه » الذي هو الاصل في كل كلام بليغ. وانه اذا اختفت معالم الذاتية في كلام مـا فذلك لانه لا ذاتية للمتكلم نفسه هناك تستحق الظهور.

ولكن قبل الافاضة في الموضوع لا بد لنا من معرفة الظاهرة نفسها. فلا بد ان نفهم ما هو التشبيه... وكيف يتحول التشبيه الى الاستعارة... قبل ان نعرف متى يصبح بها الكلام بليغاً. فلنبدأ اذن في شرح الظاهرة نفسها بالتعريف اولاً. ثم نعقب بعد ذلك بدرس محلها من الكلام البليغ.

التشبيه

التشبيه هو من قولهم « أشبه الشيء يشبهه » اي ماثله... او قارب ان يكونه. فالامر في التشبيه بادىء الامر يقوم على مشابهة ذاتين في بعض الصفات... كالشجاعة مثلاً بين الرجل والاسد... والضعف بين الوليد وامه. فهذا هو المقصود من قولهم « زيد كالاسد » اي شجاع... و « اشبه فلان امه » اي صار عاجزاً ضعيفاً كالمرأة.

ولكن المشابهة بين شيئين لا تجعل الشيء اياه. لاختلاف الذاتين خلقة – رغم اشتراكهما في بعض الخصائص. ومن هنا يقرب التشبيه او يبعد حسب نوع الخصائص التي نتلمسها عند اقامة التشبيه. كما في قول المجنون.

كأن القلب – ليلة قيل يُغدى ... بليلى العامرية ، او يراحُ –
قطاة... غرها شرك فباتت ... تجاذبه ، وقد علق الجناح

او قول النابغة :

فانك كالليل... الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتأى عنك واسعُ

فالاول يرى في قلبه الخافق – ليلة الوداع – صورة القطاة التي وقعت في الشرك. والثاني يرى – خلفه – في صولة المليك الذي يحاول الهرب منه معنى الليل الرهيب.

ومن هذين المثلين ترى ان التشبيه لا يقتصر على الذوات بل يتجاوزها احياناً الى احوالها... التي لعامل الزمن دخل فيها... وانظر مثلاً قول امرىء القيس :

سموت اليها بعد ما نام اهلهـا ... سموَّ حباب الماء حالاً على حال

او قول الشاعرة الغرناطية :

نزلنا دوحه فحنا علينـا ... حنو المرضعات على الفطيم

لتجتلي هذه الحقيقة بوضوح. كما ان التشبيه يتجاوز المحسوسات احياناً الى ما هو غير محسوس. كقول ابن المعتز في الخمرة :

وقد خفيت من لطفها ، فكأنها ... بقايا يقين... كاد يذهبه الشك

حيث يتوخى الشاعر تشبيه مادة بمعنى عقلي بحت.

وسواء شبهنا ذاتاً بأختها... او فعلاً بآخر... او حالا بحال، فانما نعتمد في التشبيه على احساسنا الذي يستحضر بين يدي المشبه – بالتداعي الحر – صورة المشبه به. ومن هنا جاز ان نقول هو، كالاسد ، كالثور الهائج ، كالحمل الوديع، كالثعلب، كالعقرب. او كما

قال ابن الجهم عند اول قدومه من البادية :

انت . . . كالكلب، في حفاظك للود و . . . كالتيس، في قراع الخطوب

الى آخر ما يقال. فالمهم في كل هذه الاحوال ليس هو التشبيه في ذاته. وانما احساسنا الذي يدفعنا الى التشبيه. وهذا ما عنيناه بقولنا «وجه الاسناد الذي يتجاوز الموضوع – في الكلام – الى ذات المتكلم نفسه» فالتشبيه من هذه الناحية يحدد الافق النفسي الذي نعيش فيه. وتأمل كيف انشد هذا الشاعر في الورد بعد ان تحضر :

عشية حياني بورد . . . كأنه خدود اضيفت بعضهن الى بعض

بينما يصاب ابن الرومي الحضري بالزكام من شمه فينشد :

كأنه . . . سُرم بغل حين اخرجه عند البراز، وباقي الروث في وسطه

والموصوف هو الورد عند كلا الشاعرين.

فما هو وجه الاسناد في الاحوال التي يقع فيها التشبيه ؟

نحن عندما نشبه نرى وجه الشبه احياناً في الصفات الحسية بين المشبه والمشبه به. كقول ابن المعتز وهو يجتلي البدر :

انظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

فهنا التشبيه يقتصر على دقة الملاحظة، ليس الا. وكل ما نستشف من صورة قائله وراء هذا البيت هو، امير في جلسة عابثة يسامر غلاماً له، في ليلة صافية، وقد غمر اريكتها البدر بنوره، وعيناه مفتوحتان للجمال حوله (وما اشبه الاثر هنا بالصور الشمسية التي تختطفها لنا آلة التصوير بآية ما يعتلج حولنا من نور وظلام) .

ونرى وجه الشبه بين المشبه والمشبه به احياناً اخرى لا في الصفات الحسية بل فيما لا يدرك بالحواس. فكأننا هنا نستلهم وجه الشبه بين ذاتين بآية ما ينعكس في انفسنا من اثرهما عن طريق احساسنا خالصاً، لا حواسنا. او بعبارة اخرى نحن نقارن هنا بين احساسين لا محسوسين. كقول ايليا ابو ماضي في الكمنجة المحطمة :

مهجورة . . . كسفينة منبوذة في الشط، غاب وراءه ماضيها

وقوله في القصيدة نفسها :

كمدينة دك القضاء صروحها دكاً، وكفّن بالسكوت ذويها

فمدار التشبيه هنا هو على دقة الاحساس، لا دقة الملاحظة . حيث نجد الشاعر يشبه الكمنجة المحطمة بالسفينة مرة وبالمدينة اخرى. وهو في الموقفين لا ينظر الى الشكل الظاهري بين المشبه والمشبه به. فليس ثمة وجه شبه. وانما الى ما يثيره حالها من احساس بين جوانحه. فالمدينة التي دك القضاء صروحها فأصبحت اطلالا، كرومة مثلا، تثير في الشاعر احساساً واجماً كئيباً هو عين هذا الاحساس الذي يأنسه الآن بين يدي الكمنجة المحطمة. وقد أنسه قبل ذلك امام سفينة مهجورة. فاذا تبينّا لهذا الشاعر صورة وراء بيتيه فهي صورة انسان قد اذهله الماضي عن حاضره، يحب في الاشياء جمالها، الباطن منها قبل الظاهر، ويشعر في عالمه بالوحدة، لعلمه بأن الاشياء – كظلها – تزول، فيتألم مغموراً بهذا الاحساس. وما اشبهه في الاثر باللوحات الزيتية التي يتخير لها صاحبها الاصباغ.

ويحسن بنا الا ننسى حالة ثالثة نقيم الشبه فيها بين الاشياء للمعادلة المنطقية فقط. كقول بعضهم في زميلين :

كشقي مقص تجمعتما على غير شيء سوى التفرقة

فهنا قوام التشبيه – بخلاف الحالين السابقين – هو في دقة التفكير. فهذا انسان يصف رجلين اتفقا على الوشاية بين الناس. ولكنه لا يكاد يحس انه يتحدث عن بشر. انه يتلمس وجه الشبه بين المشبه والمشبه به لا على اساس اشتراكهما في شكلهما الخارجي، ولا في احساسه الباطني حيالها، وانما في الغاية التي يستهدفه عمل الاثنين، وهو هنا التفرقة. انه ينظر الى الغاية والوسيلة نظر الرياضي الى معادلاته. فيكاد يتجرد كالرياضي من شعوره ليحكم حكمه القاطع. ومن هنا هذا الجمود في الصورة، والجفاف في الاحساس.

فالرجل في الواقع بعيد كل البعد عن سبر اعماق النفوس. لانه لا يرى في الحياة الا آلة تتحرك بعد ان جردها من كل جمال او احساس. وهذا هو التنطع بعينه. «وما اشبهه في التصوير بفن المكعبات».

فهذه هي الوجوه التي نتلمس لها التشبيه. ولا تتجاوز دلالتها كما رأينا – احدى ثلاث، دقة الملاحظة، او دقة الاحساس، و دقة التفكير، ولا رابع لها. وقد رأينا كيف ان وجه الاسناد في كل من هذه الاحوال لا يتعلق بالموضوع قدر علاقته بذات المتكلم نفسه .

الاستعارة

اما الاستعارة – وهي اخت التشبيه من الرضاع لاسباب سترى – فهي من قولهم «استعار الشيء يستعيره» اي اخذه عارية. والامر في الاستعارة بادىء الامر – كالتشبيه – يقوم ايضاً على مشابهة ذاتين في بعض الصفات – ولكننا هنا نُحلّ الثانية كلياً محل الاولى. ونسبغ على هذه جميع خصائص تلك. فنقول «جاء الاسد» وانما نعني زيداً لشجاعته كما نقول «زأر زيد» ونحن بصدد تصويره في حالة غضبه. فهي بهذا الاعتبار تشبيه بدون اداته، كما يعد البيانيون.

ولا غرو فالاستعارة – كالتشبيه – تقع في الذوات كما تقع في صفاتها، وتقع في الاحوال كما تقع في الافعال. ولكنها في كل ذلك

تنتحل اسباب الحقيقة للدخول الى المجاز. فتوسع بذلك آفاق القول على اللغة واهلها، وتلوّن هذه الآفاق بمسايرة ركب الحياة.

فاما الاستعارة في ذات الشيء. فكما في قول المتنبي :

فليت طالعة الشمسين غـائبة وليت غائبة الشمسين لم تغبِ

حيث نرى الشاعر قد استعار كلمة « الشمس » لتأدية معنى آخر دل به على الحبيب الراحل مجازاً ، بازاء معناها الحقيقي.

واما الاستعارة في صفة الشيء. فكما في قول شوقي :

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يُدق

حيث نرى الشاعر قد استعار للحرية لونها من الحمرة رمزاً الى ما تتطلبه من الضحايا. ولا تنس هذا الباب الموصد ابداً في وجه طالبي الحرية ، كأنما يقوم على حراستها الموت ، فلا سبيل لفتحه

والركوع في قدس اقداسها الا باقتحام الموت نفسه.

واما الاستعارة في حال الشيء. فكما في قول كثير :

اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الاباطح

حيث نرى الشاعر قد استعار للاحاديث اطرافاً يأخذ بها رجال الركب اثناء سيرهم الهادىء. كما استعار للاباطح صفة السيل ، فكأنما هي تتدفق باعناق المطي السائرة ، تدفق السيل بامواجه.

واما الاستعارة في فعل الشيء. فكما في قول ابي تمام :

ويضحك الدهر منهم عن غطارفة كأن ايامهم من حسنها جُمَع

حيث نرى الشاعر قد استعار للدهر غريزة انسانية هي معنى الضحك ولا تخفى دلالته على غضارة العيش ولين الزمان. وفي هذا البيت —بعد— موضع للتأمل. فان شطره الاول (الرديف) قائم على الاستعارة بينما شطره الثاني (العجز) يعتمد على التشبيه وقد اجتمعا لاصابة غرض واحد هو تصوير غضارة العيش ولين الزمان في كنف هؤلاء الممدوحين.

هذا هو الشأن في الاستعارة. ولكن المهم هنا ايضاً ليست الاستعارة في ذاتها. وانما احساسنا الذي يدفعنا اليها —على اختلاف الدوافع بين الافراد— فهو الذي يجعلنا مثلاً ننظر الجنة التي وعد المتقون بها ، والتي عرضها السماوات والارض ، ننظرها مرة «تحت ظلال السيوف» واخرى « تحت اقدام الامهات »

والدوافع التي تدفعنا الى الاستعارة هي بعينها تلك التي تدفعنا الى التشبيه. فهي —كما رأينا— امـا دقة الملاحظة ، واما دقة الاحساس ، واما دقة التفكير.

فتنتهي الحال الاولى بصاحبها الى التمثيل. كقول المتنبي :

بناها فأعلى ، والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

وتنتهي الحال الثانية بصاحبها الى التشخيص. كقول البحتري :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحسن ، حتى كاد ان يتكلما

وتنتهي الحال الثالثة بصاحبها الى التجسيم. كقول ابي نواس :

بُحّ صوت المال مما منك يشكو ويصيح

وقد اغرب في هذا الاخير الشعراء العباسيون حتى الاحالة. واليه تظهر نزعة الشعر الحديث.

وعلى هذه الوجوه الثلاثة ، لا سواها ، في الاستعارة —كما هو الحال في التشبيه— يستقيم لاهله البيان. حيث ترى ان وجه الاسناد في كل منها لا يتعلق بالموضوع قدر علاقته بذات المتكلم نفسه. وان زادنا الموضوع خبرة بالحياة ووسع علينا آفاقها.

البحرين ابراهيم العريض

التقدمية والرجعية في المجتمع العربي

بقلم سامي مسوح

التقدمية والرجعية* لغة واصطلاحاً ، عملان متناقضان ، وتياران متنافران ، يسيران في اتجاهين متضادين . وقد تكون الرجعية ، بمفهومها اللغوي ، معنى من معاني التقدمية ، اي سبباً من اسباب الرقي ، اعني ما يسمى بالرجعة الحميدة ، او المحافظة التي تحمل في تضاعيفها بذور التكامل والحياة ، وهي « الرجوع » الى تاريخ الامة من جديد ، للاخذ بتقاليدها القومية القويمة ، والحفاظ على شخصيتها الاصيلة واخلاقها وخصائصها .

والتقدمية اجمالا ، كل حركة تطورية اصلاحية تؤدي الى الرقي ، فما هو الرقي او ما هو الاصلاح ؟ ان اي عمل يؤدي الى النفع العام او الى اسعاد المجموع هو اصلاح . وكل اصلاح لا ينقذ الجماهير العربية من حمأة الخضوع لاصحاب السلطان ، اي سلطان ، لا يعد في نظرنا اصلاحاً جوهرياً .

وكل ركود في حياة الامة هو رجعية ، لانه يعوقها عن استكمال سيرها النشوئي . اذ كل وقوف ، او سير ينحرف بالامة عن اتجاهها الاصيل ، او يقعد بها عن استكمال عناصر شخصيتها ، هو رجعية ، وسير الى الوراء ، اي تأخر .

فلكي يتجه المجتمع العربي وجهة تقدمية صحيحة ، يقتضي ان يوجه الاهتمام اولا ، وقبل كل شيء الى شؤون التربية ، والتربية الخلقية على الخصوص ، اي تنشئة افراده على حب الحرية والاستقامة والشعور الفعلي بالواجب . وبذلك تعمل على كشف القوى الواعية في المواطن العربي ، فيؤمن بالعقل ، اي يؤمن بسيادة العقل على قوى الطبيعة من اجل اسعاد الانسان والمجتمع .

فالاساس الصحيح للحياة الانسانية ، هو التربية السديدة التي تهدف الى نمو الفرد الروحي ، للكشف عن كل ما يزخر به كيانه الطبيعي من طاقات واستعداد واتجاهات ، تهيء له ادراك ما في الحياة من جمال وخصب واتساق ، ليتسنى له اشاعة كل ذلك في ذاته وعمله ، ومن ثم في جوه ومحيطه ، وهكذا يشارك مشاركة فعلية عن طريق نشاطه الذاتي ، وتجاريبه الخاصة في مجتمعه وعالمه ، اي انه يحقق المعنى الاصيل من غاية وجوده ، ككائن روحي اخلاقي ، يعي معنى الحق ومعنى الواجب معاً .

ومن مظاهر التقدم في المجتمع العربي الامثل ، هو نمو الشخصية العربية ، وتكوين الوجدان القومي . فكل ما يساعد على نموهذا الوجدان ، وتكامل تلك الشخصية هو سبب من اسباب التقدم . وكل ما يعمل على ضمور الشخصية العربية وهزال الروح القومي ، هو عنصر من عناصر الرجعية ، فمقياس الرقي في المجتمع العربي الراهن ، هو ان تبلغ الروح القومية حد الكمال .

اذ لايعني التقدم في نظرنا تعميم السعادة والرخاء المادي فقط ، ولكنه بالاضافة الى ذلك ، اليقظة الروحية ، والتماسك الخلقي ، ينتظم المجموع ، لقيام كل فرد ، بالمسؤولية التي يفرضها عليه واقع الامة . كما ان الانسجام الكلي بين الوسائل والغايات النبيلة التي يستهدفها الفرد ، هو من صور التقدم ، على اعتبار الوسيلة جزء من الغاية ، لا مجرد ضرورة لتحقيقها وحسب .

ومن الشروط الاساسية في المجتمعات الراقية المنسجمة ، هو تدريب الافراد على التعلق بالحرية ، ومن ثم تعميم العدالة والمساواة لضمان الحقوق الطبيعية المقدسة للفرد ، كأساس لكل نظام اجتماعي سليم ، ففي تعميم العدالة والمساواة واشاعة حرية النشاط الفردي ، الذي لا يتعارض مع المصلحة الجماعية ، ولا يؤذي الآخرين يحصل التقدم .

ونحن نؤمن ان التقدم الانساني كان دائماً وليد الانطلاق والتحرر اللذين ترفدهما الثقافة العميقة الصحيحة ، ولكننا نعلم ايضاً ، ان الثقافة متى امتدت اطرافها واحتدمت شعلتها ، واضطرب اتجاهها ، فانها توجد افراداً مسرفين في التعلق بالحرية ، بكل حرية ، فيخرجون على بيئتهم ، معتبرين انفسهم غريبين عنها ، فلا يعيشون في جوها ، ولا يتحسسون بمشكلاتها ، ويستقلون في النتيجة ، بمشاعرهم وعقولهم وأفكارهم ، ويتمتعون باستقلال شخصي متطرف ، يجعلهم ينسلخون ، رويداً رويداً ، عن امتهم ، وهو ما لا نقصده من التقدمية الحقيقية ، او ما لا نريده منها .

فكان لزاماً تجاه ذلك ، وتفادياً للمروق والاستخفاف والهدم ، ان يرافق الثقافة ، بوجه عام ، تمكين للخلق ، لصبغ التربية العامة في المجتمع العربي ، بالنزعة المثالية الواقعية ، ليكون الفكر العربي ، ايجابياً مرناً ، يقبل على الحياة بمرح وجلد وترفع . وبذلك يستطيع الانسجام مع المحيط الروحي ببيآته الثلاث العقلية والوجدانية والعملية .

---

* حديث اذيع من محطة الاذاعة السورية بدمشق

وأرى الى كل ما ذكر، ان الاساس الاولي في صرح التقدمية، للتحلل من قيود الرجعية ، هو الايمان بالتطور، تطور الحياة ، وسير الزمن، ووجوب المضي مع ما يفرضه منطق هذه النظرية ، نظرية النشوء والارتقاء. وكل ما يتعارض مع هذه النظرة العلمية التطورية، هو صورة من صور الرجعية التي تنخر اليوم في الكيان العربي ، وتشده الى الوراء. فاقرار نظام الاقطاع مثلاً ، او التمسك بالعقائد الوهمية والغيبيات والتعاويذ التي لا تلبث ان تنهار، اذا سلط عليها نور الفكر، هذه كلها ، هي الرجعية التي يجب ان يتخلص منها المجتمع العربي بعد اليوم لان الاقطاعية عدوة التقدم ، على اعتبارها عملاً جائراً شائناً ، منافياً لمنطق الحياة ، ومضاداً لمفهوم الحضارة وكرامة الانسان، بتسخيرها جهود افراد لحساب آخرين عاطلين. فهي تعوق سير المجتمعات والشعوب عن تطورها الصاعد. لانها تستنفد امكانيات اناس كثيرين لحساب فئة قليلة، طابعها الاستثمار والنهب والاحتكار. ومثل تلك الروح القدرية الاتكالية الانهزامية، التي تؤمن بالسحر والجن والاشباح والتمائم. انها رجعية اصيلة ، تحارب العلم ، وتحد من نشاط كل اندفاعة تقدمية ، وتقف امام كل اشعاع فكري حر.

فالاقطاعية والرأسمالية والاستثمار ، هي رجعية سافرة ، لانها تباعد الشقة بين افراد البيئة الواحدة، وتزيد الفروق بين الطبقات وتنفي المساواة الاقتصادية ، وبذلك يبعد الغرض الذي هو من اولى شرائط الرقي ، ونعني به ، تحرير عقول الافراد من التفكير في هموم العيش ، وابعاد شبح الخوف من العوز وغائلة الفاقة ، وفي ذلك ما فيه من آثار عقلية ونفسية ، لها اقوى الاثر في انسجام البيئة واتساق المتحد الاجتماعي والقومي.

إن الحياة الحرة الكريمة، بما فيها من خصب ورغد وانتاج ، تساعد على استخدام جميع مواهب المواطنين ، وتعمل بالتالي ، على رفع مستوى السلوك الجماعي ، والخلق الفردي ، ومن هنا ، يأخذ المتحد الاجتماعي سبيله الى النمو المضطرد ، لانه يدرك حينئذ ، الحدود الصحيحة بين الحقوق والواجبات ، بالنسبة للافراد الذين يؤلفون الخلية الاساسية في تلك الوحدة السياسية.

واشاعة التربية السياسية في الجماهير العربية ، اي العمل على نشر التربية الخلقية ، وانماء الروح الاستقلالية، يحرر جماهير الشعب من الرهبة والضعة ، والخضوع لاصحاب السلطان ، اي يحررهم من التشاؤم الذي هو وليد الخوف . اذ ان التشاؤم يقعد بالانسان عن كشف الآفاق الجديدة ، ويبعده عن كل محاولة نزوعية لتغيير الاوضاع الفاسدة القائمة ، لان المتشائم يتوقع دوماً ، الاسواء والكوارث ، فهو متبلد ، يؤثر السكون والجمود ، لانه يعيش في فزع دائم.

ومن مظاهر الرجعية في المجتمع العربي، البداوة والحياة القبلية والتفكير العشائري ، ومن ذلك كلها تنشأ العصبية القبلية ، التي تهيمن على مناطق وسيعة في الدنيا العربية ، فالبداوة والاقليمية والحياة العشائرية والروح العصبية ، كل ذلك ، صور للرجعية ، لانها تحول دون تقدم المجتمع العربي ، وتتنافى مع الوضع السليم الراقي للوحدات الاجتماعية المتكاملة. فواجب المجتمع العربي ، ان يتخلص من هذه الحالات والاوضاع التي لا تتلاءم ابداً مع مفهوم التطور الصاعد والحياة الايجابية الارتقائية المبدعة.

اما الطائفية والمذهبية فهي اوجه صريحة بشعة للرجعية البغيضة، لانها تحد من نزوع الفرد العربي الى تحرير ذاته والاهتداء الى غاية وجوده ، وتقتل ارادة الحياة فيه ، بعدم تفلته من التقاليد البالية، واحكام البيئة الجامدة المتأخرة، ولانها ايضاً، تحول دون انطلاق الفكر العربي من ربقة العقائد المهترئة ، والغيبيات التي لا تقوم على اساس مكين من المنطق ، وتصطدم دوماً ، بأحكام الفكر الصحيح والعقل المتفتح.

ومن سمات البيئة الراقية الا تنعكس القيم ، وتتشابك الاضداد، وتضطرب المقاييس، وتنحرف المعاني عن اتجاهها الاصيل، فلا تفهم الحرية على انها الفوضى والانفصال عن المجتمع ، والسياسة على انها كذب وخداع وجهل، والوطنية على انها ربح وتجارة وزلفى، والفن على انه انكماش مطلق والهية وتملق غرائز القراء...

ونحن، بالنتيجة ، نسمي رجعية، كل حالة او دعوة او حركة، من شأنها ان تضعف الروابط الاجتماعية والقومية بين المواطنين ، وتفسد الاتجاه القومي والانساني ، وتؤخر ، بالتالي ، سير النشوء الارتقائي ، والتطور المبدع.

فالمجتمع الامثل الذي نهدف اليه نحن القوميين العرب، هو المجتمع الذي تسود فيه بشكل عملي واقعي، مفاهيم العدل والحرية والمساواة، حيث ينعم فيه المواطنون العرب، بالفرص المتكافئة والحرية والعدالة الاجتماعية ، مجتمعاً عادلاً سمحاً متحرراً ، ينمي في الافراد طبائعهم الفردية ، وغرائزهم الاجتماعية النبيلة ، ويسمح للشخصية العربية بالتكامل والنماء والاخصاب ، ويخنق فيها الذلة والاستكانة والجمود والوهم ، ويقضي ، فيها ، على كل الميول المنحطة...

دمشق

ناجي مشوح

اغفاءة

مهداة الى اخي ب.م.ي

نام اخي، لم يكن متعباً
ولكن النوم كان يلح عليه
فاغفى ..
في قلبه تئن العاصفة
وفي عينيه ترقد الاحلام
حنين .. رجعه دوي
وناره ... ناره
سعير ولا رماد

***

نام اخي، لم يكن متعباً
ولكن الشوق كان يحتضنه
والظمأ كل الظمأ، يحرق شفتيه
فأراح خده الملتهب على وسادة
ناعمة. ناعمة كانداف الثلوج
واطبق اجفانه الوالهة
الاحلام الغامضة تراود بسكينة
واخي يخشى النور
يخشى سارق الاحلام

***

نام اخي، لم يكن متعباً
ولكن الذكرى تضرعت اليه
كانت تبكي بدموع اليأس
وقلب اخي رقيق رقيق
تحز فيه الدموع، وتدميه الآهات

***

نام اخي، لم يكن متعباً
ولكن الظلام كان قد هبط
وكما تطبق الزهرة اوراقها الندية
على عطرها الخالد،
تفوح من اعطاف الآلهة
كان يضم اخي روحه الشفيقة بين ذراعيه
فقد تسرق اشباح الليل الخفية
حنين قلب اخي وعذوبة روحه
اخي يعبد قلبه
ولا يطيق عبث الآلهة قط

نام اخي، لم يكن متعباً
ولكن المساء كان دافئاً
والوان الاصيل الثائرة
كانت تسكر النفس وتدير الرأس
وظلال النخيل الناحلة الحزينة
تحف بالطريق المتعب الطويل
يمتد يمتد فتعجز عينا اخي
وترتد والهة دون المدى
كانت تذكر اخي باطياف رؤاه
في امسه البعيد البعيد
فيهيم يذيب يومه في امسه
ويبكي غده في يومه

***

نام اخي، لم يكن متعباً
ولكنه كان يتأمل
ومن مسارب انوار الشمس
طلعت عليه حورية
في جيدها عقد من النرجس المقدس
وعلى كتفيها تهدل وشاح
حاكته يد الآلهة المبدعة
من اوراق البنفسج الوادعة الوسنى
فهام بها اخي ... وحبس حرارة قلبه
وصدى اشواقه ... يتعبدان لها
فاشفقت عليه الحورية الساحرة

وأسدلت وشاحها المسكر
على عينيه الساهمتين
وعندما وسدت رأسه المتلهف
صدرها الناعم الدافىء
انتثر عقدها المقدس
وانفرطت زهرات النرجس العبقة
تعطر الفضاء بشذا الآلهة
وتروي، لهم، اسطورة الاثنين اصبحا واحداً

***

نام أخي، لم يكن متعباً
ولكنه كان يصلي للآلهة
ويحرق قلبه بخوراً في محرابها
ويتوسل، لترأف به
فترويه من ظمأ، وتعتقه من اسر
فاعجبت الآلهة الرحيمة
بتراتيله العذبة
وأخذت بالحانه الدافئة الحنون
فرقت له ..
وأمرت الحربة ذات الصولجان الساحر
فكانت فراشة
ترف كالنور
مست اجفان اخي
فأغفى ...!
ولم يشعر بي
وانا ابعث اليه
بقبلة المساء
تحملها اليه الانسام

***

فيا رياح الشمال هبي رخية
وفي بشائر الغيم تريثي
وانت حنانيك!
يا قيثارة الغيب
اخي نائم
ترف حوله فراشة من نور

« الثريا » الولايات المتحدة

المرأة بين الامس واليوم

بقلم عيسى ميخائيل سابا

يقال والقول حق في ما يظهر للباحث المنقب : انه جاء على هذا الشرق حين من الدهر كانت المرأة فيه مغمورة الذكر ، لا ينظر اليها الا من وراء نزوات النفس ، تذلها القوة ويزدريها الرجل حيناً ويتحبب اليها حيناً آخر . فمنزلتها عنده منزلة متعة ، يستأثر بها حفظاً للحياة والخدمة ، فكان هذا سبباً لان تضرب العبودية في النفوس وتكتب الذلة والمسكنة على كثير من الناس ، وتنبه القوم يوم تواصل الشرق والغرب واخذت العقول تتحرر من رباط العادات والتقاليد ، تقتبس من نور المعرفة ما قدر لها واستطاعت استيعابه . فتجردت فئة تدعو الى تحرير المرأة وتعليمها وتهذيبها وقد حرمتها الا نفراً قليلاً وقليلاً جداً من بنات الاغنياء اللواتي آتاهن الحظ فكتب لهن ان يعرفن شيئاً من القراءة والكتابة ، حدثتنا به كتب السير ومجاميع الادب .

وكانت الدعوة الى تعليم المرأة عامة ، بدأت في اواخر القرن التاسع عشر ولما تزل تماشي الزمن ، تقطع الايام والسنوات تحمل الاناث على متابعة الدروس وادخار المعرفة فتأسست المدارس وتخرج منها فتيات اديبات فاضلات ، دربن العيلة وجعلن البيوت جنان خلد يشعر اصحابها بشيء من الطمأنينة ، على ان ذلك لم يكن عاماً في ما يحدثنا به الزمن وتتناقله الافواه بالتواتر . ونشطت الفتاة ولاسيما في لبنان الى ارتشاف اطايب العلم ، فأخذت باسبابه تتلقف من معين الثقافة ما فرضه عليها المنهاج فغدت بفضله اديبة ومحامية وطبيبة ولكنها ليست مربية ومدبرة منزل في ما يتحدث به الناس ورأت نفسها امام ما تعلمته انها تماثل اخاها الرجل وقد علمتها الحرب تجارب صقلت نفسها وفتحت عينيها ورأت ان ما قامت به من اعمال مدعاة الى القيام بما هو من اختصاص الرجل ، فتمردت على تكوينها وقامت تطالب باكثر مما خلقت له حتى بات يخشى على العيلة من الانهيار وعلى البشرية من الاضمحلال ، متجاهلة انها متممة للنصف الذى منه اخذت . فليست هي من دون الرجل ولا الرجل من دونها فكلاهما واحد وبهما تستقيم الحياة . وعند ذلك جاءت تنخرط في ميدان الاعمال ناسية انها ام قبل ان تكون اي شيء آخر . وانها مخلوقة اعدتها الطبيعة بحنان قلبها ودماثة اخلاقها وعذب كلامها لان تكون عوناً على ارغاد الحياة واسعادها عن طريق المنزل ، فهي ربته المتصرفة به ، الآمرة الناهية فيه ، تأمر فتطاع وتطلب فتجاب ، وكأنها لا تريد ان تكون ملكة جالسة على عرش منزلها بل ترغب في ان تكون سفيراً ووزيراً وقاضياً ونائباً الى غير ذلك ، وفي قدرتها ان تكون هذا كله ، وما يظن ان التفوق لا يكون حليفها في ذلك على ما يؤيده الاختبار وتتناقله صحف الاخبار الموثقة ،



نزعة التنوير في الفكر الاوروبي

بقلم عواد مجيد الاعظمي

ليسانسيه شرف في العلوم الاجتماعية

ان نزعة التنوير نزعة فكرية تدعو الى التحرر والتقدم والانعتاق من القيود الاجتماعية البالية، وقد ظهرت بتأثير عوامل مختلفة تمتد جذورها الى نواح اجتماعية وسياسية واقتصادية ، وقد ظهرت هذه النزعة في بقاع مختلفة وازمنة متباعدة من بلاد العالم ، وكانت تحمل من الخصائص والاهداف ما تكاد تكون متشابهة رغم اختلاف الزمان والمكان.

وقد ظهرت هذه النزعة في العصور اليونانية القديمة كما ظهرت في بلاد الهند والصين قديماً ايضاً . وبعثت من جديد في اوربا

لان الخلق يوم بدىء لم يمنح المرأة ما منحه الرجل بل جعل بين الاثنين فرقاً فسيولوجياً ليتكامل النوع ويكون الاثنان جسداً واحداً يعملان على متابعة الحياة والرابط بينهما الحب والاحترام .

ومن ماشى الفتاة واختبر نفسيتها يعلم جيداً ان في مقدور المرأة ان تتعلم كل شيء ولكنها لا تبرع في شيء منفردة ، ولا يؤخذ من قولي هذا اني لا ارغب في ان تكون المرأة في حال اصلح مما هي فيه ، كلا ، اني اقر واقول مع غير واحد : من اراد ان يكون عظيما فليعد اماً عظيمة . ومن اراد ان يكون حراً اديباً فاضلا فليهيء الام الاديبة الفاضلة وقد قيل :

واخلاق الوليد تقاس حسناً ... باخلاق النساء الفاضلات

فسعادة العيلة منوطة بالمرأة وبحسن تدبيرها ، والحياة لا ترغد ولا تزهو الا بها ، وحياتنا الاستقلالية تتوقف على حسن اخلاقها بما تبثه في افئدة الاصاغر من همة ونشاط واندفاع . والناظر في المنهاج الذي تتبعه الفتيات في التعليم هو المنهاج عينه الذي يزود اخاها الطالب العلوم النظرية، فلا نرى في ما تتعلمه شيئاً من مبادىء علم الصحة والاقتصاد المنزلي وتربية الطفل والعناية به وادارة الخدم والاشراف على ما يؤكل ويشرب ، وما فيه النفع والغذاء الحيوي لا حشو المعدة والاتخام بما يضر ويسقم ولست بحاجة الى ان اقول ان الطبيعة اعدت الفتاة لان تكون زوجاً واماً تعنى بمملكتها الصغيرة وتحرص على حياة من أتت بهم ليشاهدوا هذا الكون على ما فيه من نور وظلمة وسراء وضراء ، وللسيدة بيتون الانكليزية كلام في كتابها تدبير المنزل محصله : ما اشبه ربة البيت بقائد جيش فروحها منبثة في انحاء المنزل ، ينظر اليها من فيه من احياء ، فاذا ما اتمت واجباتها محتفظة بالآداب العالية والاخلاق السامية، اقتدى بها اولئك الاحياء فيبذلون جهداً في اتمام ما عليهم من واجبات.

وانه ليفرض في ربة المنزل سواء كانت مثرية او فقيرة معرفة هذه الواجبات، فهل تتنبه مدارسنا الانثوية والقائمون على وضع المناهج التعليمية فيضيفوا اليها ما يجب ان تعرفه الفتاة ويحذفوا منه ما ليس فيه فائدة لها، ليكون لنا جيل يعرف الواجب بمعناه الواسع نحو الله ونحو نفسه ونحو وطنه، ذاكرين ان بتهذيب الفتاة تهذيب الفتى وقد قيل ان احضان النساء لا تحمل الاطفال فقط بل تحمل الشعوب ، فمن لنا بالام التي تحمل شعوب الشرق العربي غير فتياته ففي قدرتهن انماء العواطف التي ترفع الانسانية الحاضرة الى سبيل الرقي المحسوس وقديماً قال شبنهور : كأن في نفس المرأة هاتفاً يذكرها على الدوام بان في يدها مصير النوع البشري فهل نحن ذاكرون يا سيدتي .

عيسى ميخائيل سابا

خلال القرن الثامن عشر ..

وقد بينا ان هذه النزعة تهدف الى النقد والانعتاق من القيود الروحية والفكرية التي قد اصبحت بالية في نظر اصحاب الفلسفة التنويرية، فقد ذكر بدوي « ان الفلسفة اليونانية نفسها لم تقم النزعة الى النقد فيها الا حين تكونت معلومات عديدة على يد الفلاسفة السابقين لسقراط .. وحينئذ بدأت الروح الجديدة، روح التنوير تثور على ما وصل حتى الآن، او على التجربة الروحية الدينية كما نقلت اليهم، وهذا الدور قد قامت به السفسطائية[1] ».

فالسفسطائية على، عكس ما يتصورها البعض في مفهومها العامي، هي فلسفة نقدية اوجدت قيماً فلسفية جديدة من الفكر اليوناني، وغيرت اتجاه التفكير اليوناني من كون الطبيعة مقياساً للانسان الى اتجاه جديد الى اعتبار الانسان مقياساً للطبيعة .. كما تمثلت هذه من عبارة بروتاجوراس من اكبر السفسطائيين اليونان « بان الانسان مقياس جميع الاشياء[2] » وكما ذكر احمد امين « وقد جاء السفسطائيون بعد تلك الفترة التي امتدت من طاليس الى انكسمندر فاستنار الشعب واتسع افقه العقلي بعض الشيء وبدأ ينظر الى آرائه القديمة وعقائده البالية نظرة الناقد الساخط[3] ».

والسفسطائية بالرغم من انها امتازت بروحها النقدية الواضحة فانها دعت الى التأكيد على النزعة الفردية والتحرر العقلي والفكري من قيود الاوضاع العامة البالية « فان تطور الحياة السياسية في اليونان اقتضت وجود الفلسفة السفسطائية وهذه بدورها اوجدت النزعة الفردية، وهذه الفردية تقتضي العقلية او النزعة العقلية فكان لا بد اذن ان توجد روح فردية، تقوم مضادة للنزعات العامة التي كانت موجودة عند كل المفكرين والفلاسفة اليونانيين الذين سبقوا السفسطائيين[4] ».

اذن فنزعة التنوير كانت نزعة نقدية عقلية تجلت فيها الفردية هدفها بناء قيم جديدة على انقاض قيم بالية عتيقة.

وقد تمثلت هذه النزعة من مختلف مناحي الحياة، فهي ظاهرة من الدين ومن الفن والاخلاق السياسية . وقد وضعت لكل ناحية من هذه النواحي تفاسير تنم عن تفكير حر مستقل، تفكير بماء بالنقد والخلق والابداع، فقد ذكر وولف في كتابه عرض تأريخي للفلسفة والعلم « وكان هؤلاء هم السفسطائيون او « الحكماء » وقد بذلوا جهداً عظيماً في نشر التربية العامة وبفضل نقدهم للعقائد الذائعة حملوا غيرهم من المفكرين على ان يتعمقوا في استكناه المشاكل العظمى للحياة البشرية[5] ».

وقد حمل زعماؤهم حملة شعواء على التقاليد الاستقراطية فبروتاجوراس كان قد بلغ من العلوم السياسية حداً دفع سكان مدينة « توريوم[6] » الى ان يطلبوا منه ان يشرع لهم دستوراً ففعل . وقد اشتهر جورجياس في مقدرته الخطابية، واما انتيفون فقد ذهب ضحية الدمقراطية، واما بروديكوس فقد كان نحوياً بارعاً دقيقاً في صناعة اللغة[7].

وهكذا كانت نزعة التنوير السفسطائية « ثورة ناتجة عن شعور قوي برغبة ملحة ونزعة قوية نحو ايجاد نظرة جديدة في الكون والوجود[8] ».

هذا في العصور القديمة — اما في العصور الحديثة، فقد ظهرت هذه النزعة النقدية عند فولتير خلال القرن الثامن عشر الذي يعتبر حامل لواء نزعة التنوير وقد ذكر مرتز « حتى انه لقد اصبح من الهين علينا ان نصف طابع القرن الـ ١٨ باسم القرن الفلسفي او قرن التنوير العقلي وما يسمى بـ « Aur Klarims » وان شئت فقل قرن التنوير[9] ».

وعلى حد قول احمد امين « فلقد شهدت انجلترا وفرنسا في اوائل القرن الثامن عشر نهضة فكرية فساد الشك وحاول الفكر ان يهدم كل قديم[10] ».

فهذه كلمة موجزة قدمناها للقارىء الكريم علّه يتطلع على مفهوم هذه النزعة التي كان ولا يزال مجال البحث فيها ضيق .

بغداد **عواد مجيد الاعظمي**

---

(١) عبد الرحمن بدوي — ربيع الفكر اليوناني ١٩٦٠ ص ٥٩

(٢) يوسف كرم — تأريخ الفلسفة اليونانية ١٩٣٦ ص ٥٧

(٣) أحمد امين — قصة الفلسفة اليونانية — الطبعة الثانية ١٩٣٥ ص ١٠١

(٤) بدوي — ربيع ص ٢٢٤ — ٢٢٥

(٥) وولف — عرض تأريخي للفلسفة والعلم — ترجمة عبد الواحد سنة ١٩٣٦ ص ٩

(٦) احدى المستعمرات الاغريقية

(٧) راجع تفصيل ذلك في كتاب الفلسفة الاغريقية — محمد غلاب ص ١٢٦

(٨) بدوي — ربيع ص ٨٠

(٩) تيودور رتز — نزعة الفكر الاوربي في القرن الـ ١٩ — الرسالة الاولى ص ٦٥ ترجمة اسماعيل مظهر

(١٠) احمد امين — قصة الفلسفة اليونانية ص ١٠١

زوجة فنان

بقلم عبد الرزاق الشيخ علي

●

دفع الباب ودخل بهدوء . ومد طرفه الى زوجه وابتسم في وجهها محيياً .

— مساء الخير . . يا خديجة .

فانفرجت شفتاها عن ابتسامة غامضة .

— اهلا وسهلا . . لماذا تأخرت يا هشام ؟

— انه البحث يا عزيزتي . لقد ارهقني التأجيـل ، وازهقني التحويل . لا شيء يستحق الذكر في هذا اليوم ايضاً !

— آه ! ما شاء الله . . وما هـذا الشيء الذي تتأبطه تحت ذراعك وتحاول اخفاءه عني ؟ .

حاول هشام ان يتجنب ثورتها التي ستعصف بالبيت ومن فيه بعد قليل ، فابتسم برقة وقال بعذوبة :

— لا شيء يا خديجة ! صحيفة تافهة .

فرفعت حاجبيها ، وقلبت شفتيها ، وقالت مغضبة :

— وهل تحسبني امرأة بلهاء حتى لا اميز بين الشيء واللاشيء !؟ ارني ما في داخل الصحيفة التافهة .

تهالك الفنان على اقرب مقعد اليه ، ومسح حبـات العرق المتجمعة على جبينه قائلا :

— الحر لا يطاق في هذا اليوم .

فاجابته وهي تسحب ذلك «الشيء» الذي كان يحاول اخفاءه عنها .

والكذب ايضاً ! آه ! صحيفة تافهة ! .

وانطلقت تنوح وتعول :

— يا حظي العاثر ! يا بختي النائم ! كتاب جـديد تضيفه الى كتبك القديمة ! . . قل لي : من اين اشتريته ، ولماذا ، وكيف ؟ . من اين لك المال ؟ وكيف اشتريته ولم يكن في جيبـك سوى بضعة فلوس عندما خرجت من البيت ؟ .

وسكتت ريثما تلتقط انفاسها .

— كتاب جديد ! هذا ما تفكر فيه ، وهذا ما تعمل لاجله ! كتاب جديد ، ولا فستان جديد . . كتاب جديد ، ولا حذاء جديد . . كتب ! كتب . . دائماً الكتب . . يا حظي ! يا بختي ! ليأخذك الشيطان انت ومن علمك عـلى شراء الكتب . . من يدري ! لعلك تخادعني بذهابك وايابك ، وادعائك بانك تبحث عن عمل فلا تجد اليه سبيلا ، وتقضي جل اوقاتك في المكتبة العامة بين الكتب . . يا الهي ! لقد تراكمت الديون علينا بسبب طيشك الدائم ، وهوسك المستمر بالبحث عن « المعرفة » بين طيات الكتب . فماذا حصلنا ، وماذا ربحنا من وراء هذه الكتب ؟ الفقر والبطالة ! هل انقذتنا هذه الكتب التي كدستها في غرفتك من براثن البؤس الذي انشب مخالبه فينا منذ ثلاثة اشهر ؟ .

وسكتت لحظة وعادت الى زمجرتها والزوج ينظر اليها بهدوء :

— يا حظي ، يا بختي . . انني من اتعس نساء الارض اولكن ، اسمع . . انك لن تشتري كتاباً بعد اليوم ! . . افهمت ؟ يجب عليك اعادة هذا الكتاب الى صاحبه ! افهمت ؟ والا خرجت من البيت ! .

وامسكت الكتاب بيدها اليمنى ولطمت به الارض !

فنظرَ الزوج الى الكتاب المهان بحزن ، وقال لها بألم بالغ :

— لكني لم ادفع فيه فلساً واحداً . . يا خديجة !

فصرخت في وجهه قائلة :

— لكنك اخذته على « الحساب » . . وهنا الطامة الكبرى!

اجابها بصوت يقطر الماً ومرارة :

— وهل هذا يضيرك في شيء ؟ .

فدفعت بشعرها الى الوراء قائلة بسخرية مرة :

— وان تراكم الديون علينا لا يضيرنا في شيء البتة !

فتوسل اليها بعينيه : — لكنني لم اشتر كتاباً منذ ثلاثة اشهر!

فارتفع صراخها :

— وماذا تريد بعد ان ملأت خزانتك بلغة الاعاجم والاعراب؟ قد قدّ قلبك من الصخر ! انت تعرف مقدار كراهيتي للكتب والكتاب ! لكنك لا تنفك عن تسديد السهام الى قلبي بشراء هذه الكتب البالية بين حين وآخر . . الادب ! التصوير ! الموسيقى ! . . ماذا تريد ان تصير يا هشام ؟ هذه القصص التي تكتبها لا تساوي في ميزان الترف حبة رمان ! لقد ملأت جدران غرفتك بصور خليعة تافهة . « القبلة » ! « المفكر » ! « الينبوع » ! والاخرى ؟ لست ادري ما اسمها ، لعلها « الجربوع » ! . .

يا حظي المذبوح ! ما لنا وللفن يا رجل ! الخطوط والالوان . . الشعر والموسيقى . . هؤلاء السخفاء ، الادباء ! . . لا قيمة لهم ، ولا كلمة مسموعة في الدولة ، ولا رجاء ! . . ساحطم هذه اللوحات ، وامزق هذه الكتب ، حتى تقلع عن غيك ، وتعود الى رشدك . حتى تفكر في زوجك وبيتك . حتى لا تصاحب هؤلاء الادباء الجياع الذين لا يشغلهم في الحياة شيء سوى القلم والقرطاس . الادب الرفيع . . والادب الرقيع . . وأديب الناس ! . وهكذا يوسوسون في صدور الناس بافانين « الحرية » و« الفن » و« الجمال » ، وينفثون سحرهم في كل مكان . . هكذا ينتزعون الرجال من بين احضان زوجاتهم ليدفعوهم الى قاعات الكتب وساحات النضال ، ليأخذهم الطاعون ! لا حرمة لهم ولا مكانة في الدولة ! . . لماذا ضرب صديقك الشاعر على رأسه حتى اصيب بالجنون ؟ . . قل اتكلم . .

نظر اليها طويلًا ولاحت على شفتيه ابتسامة رثاء :

— لانه يتغنى بالحرية !

فقلبت شفتيها باحتقار ، واجابته بازدراء :

— لماذا لا يتغنى بالطاعون !؟ . نحن نريد ان نعيش ! نريد ان نأكل ونلبس . . هذه الاسماء الجوفاء التي تتشدق بها لا تطعمنا ولا تكسينا ! وهذه الكتب التي تتكاثر يوماً بعد يوم لا توصلك الى المنزلة الرفيعة التي وصل اليها عدنان . وظيفة ممتازة ، وقصر فخم ، وسيارة رشيقة . . وانت ؟ تأخذ هذا الكتاب دون ان تملك شروى نقير ! وتقدم استقالتك من الوظيفة لان رئيس « الدائرة » قال لك . « اخرج . . يا حمار ! » . هكذا شددت نفسك باعمدة الكرامة وتعلقت بسجوفها ، ودفعتنا الى هذا المصير المحزن بطيشك ونزقك الدائمين . . لماذا يا سيدي . لماذا اتجد من تشبيهك بالحمار ؟ كانا حمير ! . . فانا بنت كلب عندما اراني ارفل في ثياب البؤس ، واتقلب بين مفارش الشقاء ، ولا اعيش كبقية النساء المترفات . . وانت اكثر من حمار ! لانك تعيش في عالم من الاوهام والاحلام . ماذا تأخذ لقاء ما تنشره في الصحف والمجلات ؟ لا شيء ! سوى « المنة » من اصحابها لنشر اعمالك الفنية ! يا حظي العاثر الذي صيرك فناناً لا تعرف طريق المال .

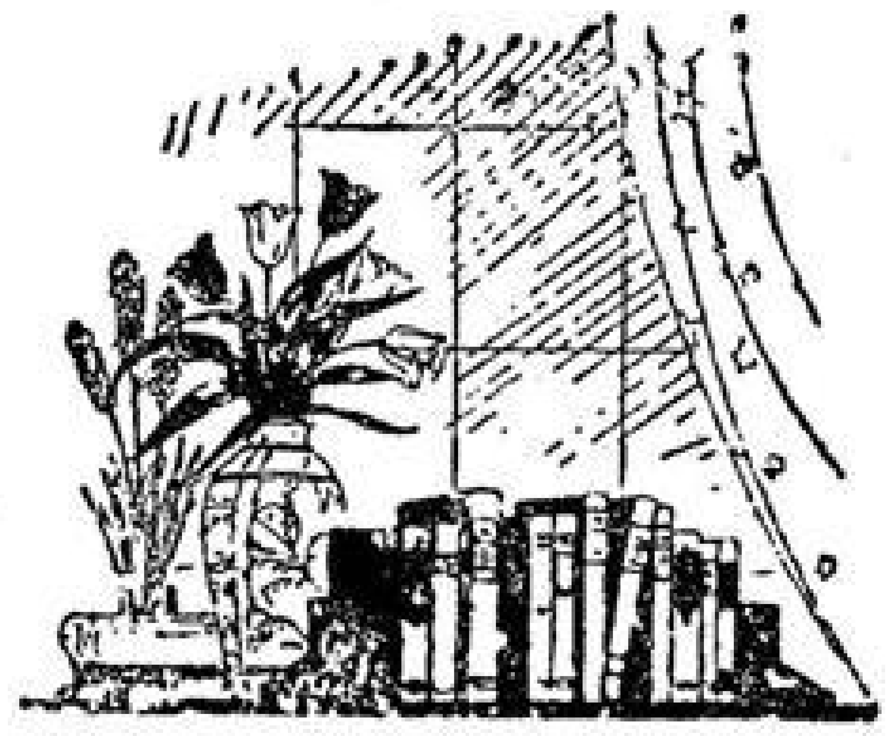
واستغرقت في البكاء ! تندب حظها ، وتبكي سوء طالعها ، والزوج ينظر اليها واجماً ، لاعناً ذلك اليوم الذي اقترن اسمه باسمها ، وكتب عليه ان يعيش مع هذه المرأة التي تريد ان تسد عليه منافذ الفكر . المرأة التي تريد ان تجعل منه العوبة بين يديها ، وملهاة وفق هواها . المرأة التي تريد ان تحتكر جل وقته ، ليجلس اليها ويحدثها بما تهوى ، لا بما يرغب هو ويريد .

هذه المرأة التي تسخر من المفكرين ، لانهم فقراء !.

هذه المرأة التي تسخر من افكاره وتضحك من اقواله ، وترغب في صب البترول على كتبه واشعال النار فيها . . لان هذه الكتب قد الهته عن الدنيا وسممت افكاره . جعلته يتنكب الطريق القويم ، الذي يجلب الثروة والنعيم .

هذه المرأة التي لم تنفك طوال الاشهر الثلاثة من صب جام سخطها ونقمتها عليه في كل يوم . لانه ترك عمله لسبب تافه ! لانه لا يفكر فيها كما يجب ! لانه لا يحبها ! لانه يفضل الكتاب عليها . . لانه لا يتزلف ! لانه لا يتودد ولا يتقرب . . وهكذا تجتهد في خلق الاسباب لتقريعه ولومه في كل يوم ، ولا تتركه الا بعد ان يكمد لون وجهه من الالم ، ويتلوى من الاذى كالسليم ! . . فيا له من حجاب سميك قد ضرب بينه وبينها . فهو يبذل جهده لان يجعلها تفهمه ، ولكن ، هي ، لا تريد ان تفهم شيئاً ، ولا ترغب في فهمه على الاطلاق ! . . ولكن ، ربما حاولت فهمه في يوم ما ، فوجدت حرجاً في ذلك الفهم الشائك . فعادت الى السخرية بكل ما يتحدث ويقول .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينيا

او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ – ٩٢ Direct. : 92 - 47 ; المنزل : ٣٧ – ٤٨ Dcle. : 48 - 37 } Tél.

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

تتابعت الايام في سياقها الرتيب ، بيد ان الزمن ابتسم في وجه هشام بعد عبوس كان يدفع اليها بمرتبه كله في نهاية كل شهر ، لتشتري ما يروق لها وما ترغب فيه . فتربت على خده، وتدغدغ صدره ، وتعبث بشعر رأسه ضاحكة مستبشرة .

كان يستغل لحظات فراغه في « الديوان » ليكتب شيئاً او كان يترقب انشغال زوجه بنفسها ليقرأ شيئاً ! وكان ينتظر بلهفة ساعة ذهابها الى سريرها في الليل وكف لسانها عن الحركة ليخلو الى نفسه والى ذلك الضرب من الفن الذي يأخذه من جوانبه فيصيره عبداً بين يديه ساعة ما يتجلى . فاذا ما رأى دمه يسيل مداداً وروحه تجري على القرطاس بشكل حروف ناعمة شعر بلذة عظمى لا يتذوق حلاوتها سوى الفنان المطبوع .

جاءها في نهاية الشهر ودفع اليها بمرتبه ، فداعبته ، لكنها الفته واجماً ، فاطبقت فمها : « لقد انتابته نوبة الصمت والذهول ! » وانفلتت من امامه ضاغطة بين اصابعها قبضة الدنانير .

تأهب للخروج عندما ازفت الساعة الرابعة مساء .

– الى اين .. يا هشام ؟

اجابها وعلى شفتيه ابتسامة غامضة :

– الى سعادة المدير العام ! في الديوان كما تعلمين ! ..

فافتر ثغرها عن ابتسامة عريضة وقالت بخيلاء :

– يخيل الي ان سعادة المدير لا يستطيع الاستغناء عنك بعد الظهر ايضاً !.

– اجل يا عزيزتي! لقد كلفني مراجعة « الملفات » السرية .

فقاطعته ضاحكة :

– اذهب ولا تتأخر .. ستصير « ملاحظاً » عما قريب ! مع السلامة ..

ويخرج هشام من البيت ضاحكاً . ويعبر جسر « المأمون » ماشياً . فاذا ما وصل سوق « السراي » نفذ فيه .. وتسكع في ذلك السوق قليلاً ليأخذ ما يروقه بما وفره طوال الشهر من « يوميته » المعينة من زوجه .. ويذهب بعد ذلك الى مقهى « الزهاوي » حيث يغرق في المطالعة حتى العاشرة مساء . ويعود الى البيت خفيفاً ، لطيفاً ، فاذا ما لمحت زوجه الكتاب تحت ابطه ، بادرها قائلاً بوقار :

– انه سعادة المدير ! . لقد امرني ان ارفع اليه « تقريراً » بهذا الكتاب ..

بغداد   **عبد الرزاق الشيخ علي**

عـاد للـروض زهـوه

سافر الى فنزويلا عضو الرابطة الادبية الحساس اخونا الشاعر جورج صيدح عقيب ان دخل فصل الصيف الذي توزع فيه اعضاء الرابطة هنا وهناك ، فكان ذلك سبباً لتأجيل انعقاد جلسات الندوة فحسب بعض الناس ومن لا ضلع لهم بالادب الصحيح ان « الرابطة الادبية العربية» في الارجنتين لفظت انفاسها الاخيرة ، والابيات الآتية التي القيت في جلستها الاولى بعد ذلك ، تعبر عن هذا المعنى بعض الشيء

عاد للروض زهوه ونضاره بعد ان جف برهـة نواره
فاعادت اطياره نغمات هي في الحق شدوه وشعـاره
هي وحي النفوس هذبها الفن فجاءت به كريماً نجاره
يعزف العزفة الفتية فالسحر حلال ،تباركت قيثاره !!
خطىء الحاسبون حشرج في المهد وليداً وقُطعت اوتاره
لا اغاريده الحسان اغاريد ولا لحنه ولا اشعـاره

***

هوذا منتدى المعارف والآداب حال، وها هم عماره
يسكبون العطور فيه كما يسكب في الزهر عطره اياره
ان يغب صيدح فتى الشعر حيناً لم يغب صحبه ولا سماره
كلهم حافظ له العهد في الصدر وكل هزاره وكنـاره
يتمنون عودة الشاعر الحر فقد طال هجره واصطبـاره

الارجنتين — يوسف صارمي

صاحب مجلة المواهب

بغـداد الحـزينـة

الساعة التعبى تطل من خلل الدخان
تحصي المهازل والمآسي بالدقـائق والثواني

ماذا جرى للارض حتى عاد اهلوها عبيدا ؟
وتغشت الابصار حتى لا ترى فيها جديدا ؟

وتناثرت عبر الدروب مواكب سود الجبـاه
تبغي خلاصاً في المساخر والهياكل ، والمقاهي

الساجدون على التقى يستغفرون من الخطـايا
والسارحون مع الهوى ، والراقدون مع البغايا

والهائمون تهزهم في النفس خيبـات مريره
يفنون بين الذكريات حطام اعمار قصيره

والاغنيات النائحـات تعتقت دهراً فدهرا
والعابرات على الطريق كأنما يحملن سرا .

والجائعات نفوسهم رووا العيون من العيون
يهتـاجهم شوق الى دفء ، الى صدر حنون

مـن شاعر ملك السماء وشده بالارض قوتُ
يطوي السنين على العذاب فلا يعيش،ولا يموت

عبد لمن عبدوا التراب وعفروا فيه الجباهـا
وتطلعوا خوف العقاب كأنما قتلوا إلهاً ...

واسير في صخب الجموع كأنني من غيـر قلب
وتجرني الاحلام والاوهـام ، من درب لدرب

بغداد — اكرم الوتري

منـاجـاة

عندما يغمر الضباب الروابي ويرى البـدر باهتاً في وشاحه
وحسان النجوم خلف السحاب مشفقـات تود لمس جراحه
اذكري والهاً يبوح لديـك بالذي تضمرين في جانحيك

واذا كفّن السكون الوهادا وغفا الطيب فوق مهد الغرام
واستحالت جذى الفؤاد رمادا وسرى البرد في رقيق عظامي
اذكري هائماً يتوق اليـك ينشد الدفء في لظى وجنتيك

واذا ضمـك الفراش الوثير وتراءى لك الحبيب المعذب

طمئنيه فقد تسير الامور مثلما تشتهي القلوب وترغب
فهو يخشى وطء الفراق عليك فتموت الاحلام بين يديك

وديع ديب

ظلال الفجر

يا ظلال الفجر ما ابقى لك الليل الطروبُ
دفقة النور على جفني شعاعات تذوب
وغناء الطير في مسمعي عويل ونحيب

شهقة من صدري المحموم فيها اتلوى
ردديها في مديد الافق، في الاسماع نجوى
تلك هزتني على اصدائها عضواً فعضوا

سوف اعدو في طليق الوهم حراً من قيودي
اتلاشى في فم الموت بقايا من نشيد
انا ان تهت بذاتي ، فلقد انسى وجودي

يا ظلال الفجر ضجي ، بجراح الذكريات
واسكبيها فوق اندائك لحناً من صلاة
واسخري ما شئت مني، او كما شاءت حياتي

قهقهات الامس ما زالت تدوي يا ظلالُ
رجعت في اذن الايام يحدوها الضلال
ونعيب الغد ما ضاق به حتى الخيال

في سكون الليل امشي في طريقي يا فناء
ان مضى زهو ربيعي فلقد يأتي الشتاء
واضم الاضلع الحرى وما في رجاء

يا ظلال الفجر ما استهواك من سحري وفني
نضبت كأسي على ثغرك آهات ، ودني
لسنا من دنياك في شيء فما اشجاك مني

ارسمي لي في خشوع الصمت اشباح مصيري
وادفني في معبد الآلام اشلاء غروري
ضاع في وجداني الليل فهل ضاق ضميري

ضجعة الآفاق في هدبي خيالات تغيب
وشعاع الفجر حلم ، بدم النجم خضيب
كفنيه بدموعي ، سوف يطويه الغروب

ايها الفجر تمهل لم يمت فيَّ حنيني
عد الى مرقدك الساجي ولا تقرب عيوني
انا قد اترعتها حبي ، واثمي ، وشجوني

غن فلن تسمع من ثغرى نشيداً عبقريا
انا اهوى ظلمة الاسداف تدمي مقلتيا
واحب الوتر المحروم يـذوي في يديا

حمص — عبد الباسط الصوفي

يا هزارا ...!

مرفوعة الى روح الشاعر القطيفي الشيخ جعفر الخطي

يا هزاراً أقصته كف الزمان عن مغانيه في الصبا الريان !
لم يكد يلمح الصباح على الافق . فغشّى عينيه ليل دخان
اوحش الروض يوم اقصيت عنه وتعرى من نضرة وافتتان
لا تهز الصبا الغصون ، ولا تحب فيه عواطر الاردان
والسواقي قد ألجم الذعر فاها والقماري ذبيحة الالحان ..
مصرع حول الجنان جحيا ! يتلظى مفجر البركان ..!

اصحيح ، يا « جعفر » يا هزار الشعر يا بكر « ربة الالهام »
قد نحرت الشباب في مذبح اليأس ، وودعته بحرقة ظام ؟
افضنت عليك يا « جعفر » « الحظ » وجادت بصفوها للئام !
اتعاطيك – يا هزار الروابي – علقما ، والغراب اشهى مدام !
الليالي – لا تبتئس – مولعات بخسوف البدور ليل التمام
قم تلفت يا شاعري . فالمغاني آهلات – لما تزل – بالطغام

عبثاً تنشد النعيم بـ « افق » غمرته عواصف الاتراح

ليت شعري! ماذا ابث بشعري ونواحي يكاد يطوي صداحي!
آه .. لو بلغ البيان مناه لكساك الخلود اسنى وشاح
كيف يا شاعري اصوغ الدراري لك عقداً، والبغي هاض جناحي

من رمى بالهزار أفقا قصياً ابن ارض القطيف من اصبهان !
افضاقت بك القطيف رحاباً افهذا جزاء بيض الاغاني ..!
لست يا شاعري شكوت وحيداً اي حر لم يشك هذي المغاني؟!
لو افاقت من غيها « بنت بكر »لاحاطتك بالهوى والحنان ،
فهي لولاك لم تكن غير طيف ضائع في محاجر النسيان
وهي لولاك لم تكن مل ء شعري لا ! ولم يجر ذكرها في لساني

القطيف — عبد الحميد الخطي

فجر الربيع

افيقي مناي فهذا الصباح تنفس والفجر في الافق لاح
وتلك الغزالة في صدرها افاقت لتغسل وجه البطاح
ورهط الزهور رنا باسما وفي الجو رفت طيور ملاح
افاقت لتلثم ثغر الربيع

افيقي لنجمع زهر المنى ونشرب كأس الهوى المترعَ
ونرسل الحاننا نغمة ونمسح عن لحظنا الادمع
ونمرح بين عذارى الزهور ونمضي الى النهر كي نسمع
هدير المياه بشدو الربيع

افيقي فقد جاء ما نرتجي فهذا الربيع وهذا الشباب
سنغسل بالنور آلامنا ونلثم ثغر الاماني العذاب
ونرقص فوق الربى كالشعاع ونمزج باللهو حلو الشراب
ونمرح فوق بساط الربيع

افيقي فهذا نداء الطيور يغنيك لحن العذارى الحسان
ويهتف هيا لشط الغدير لنغسل فيه حواشي الزمان
وننظر في الماء اشباحنا ونطلق للامنيات العنان
نحيي الصباح بشير الربيع

افيقي فقد ارسلت شعرها ذُكاء لتمشطه الغانيات
ويخضبنه من عطور الزهور ويمسحنه من سنا المائجات
ويلثمنه ثم يرسلنه وهن الى خدرها رانيات
يشاهدن في الافق وجه الربيع

افيقي لنرقب سرب الفراش يحوم فوق حسان الزهور
ويلثم ما شاء من زهرها ويشرب منها الشراب الطهور
ويمضي يهوّم في نشوة وينشد لحن الهنا والسرور
فتلك الزهور وهذا الربيع

افيقي لنسرح مثل الظباء ونجلس تحت ظلال الشجر
ونشرب من خمرة الذكريات كؤوساً على لحن ذاك الوتر
ونرسل من الشدو آهاتنا تغني بالحان تلك الذكر
فنشدو الى الحي لحن الربيع

افيقي لنجلس فوق التلال نشاهد في الافق رأس الشراع
ونركب في زورق الامنيات فلسنا نخاف عليها الضياع
ونرقب في البعد احلامنا تشير الينا نشاوى وداع
تعالوا لنشرب كاس الربيع

غزة - فلسطين — علي هاشم رشيد

الى جارة الامس

اصغيرتي هل تذكرين
عهداً طوته يد السنين
اذ كنتِ كالغصن الندي
تتأودين على يدي
وعلى فؤادي ترقدين !!

هل تذكرين جلوسنا في الصيف فوق النورج
نغفو على رقص الشذا .. والسنبل المترجرج

وشرودنا في الليلة القمراء ما بين الكروم
نهذي !.. ونمشق من عناقيد الدوالي والنجوم !

هل تذكرين ذهابنا ، في الصبح ، نحو المعهدِ ..
بمظلة سوداء .. تخفق في فضاء اربد

وصراخنا في الحي .. يبني بيتنا فوق الطريق
بفتات وحل الدرب .. او نأوي الى القبو العتيق ! .

هل تذكرين زفافنا في الكوخ .. قرب الجدولِ
تتلمسين على الجبين شريط ورد مخملي !

وانا بقربك ذاهل .. ازهو على باقي الرفـاق
في اضلعي ، من خافقي المجنون ، شدو ، واصطفاق !

اتعود هاتيك العهود
يا جارة الامس البعيد ؟
وأراك قربي من جديد
تتأودين على يدي
وعلى فؤادي ترقدين ؟ !

فؤاد الحشن

رحلة في الظلام

•

اقبل الليل بالظلام وبالريح تدوي بصوتها الصخاب
مستسراً يـدب كالراهب الشيخ مهيباً يسير للمحراب
والنجوم البعاد تومض في الافق وتبدو كأعين المرتاب
وعويل الرياح يملأ سمعي ويثير الدفين من اوصـابي
ودماء الضيـاء كفنه الليل بستر محجب بالضبـاب
وطيوف الفناء تعدو امامي هاجمات على نضير شبابي
والعواء المخيف ردده الافق فدوى صداه من احنائي
وصفير الرياح يعصف كالرعب بنفسي في وحدتي الخرساء
والفضاء الجهوم قبر وسيع ساخر مطبق عـلى اشلائي
صارخ انت من ظلام على الارض وان كنت من شفيف الضياء
انت اعمى يسير في وحشة القفر وحيداً يدب في الظلماء
والطريق الرهيب ينداح في الليل مخوفاً كالفكرة القتماء
فتهاويت من خشوعي للارض وفي مقلتي دمع ذنوبي
وتلبثت في سجو اصلي وصلاتي من دمعي المسكوب
وانا مطرق أسر الى الام شكاتي ولوعـتي ولغوبي :
« اين . . اين المعاد والراحة الكبرى لنفس المشرد المنكوب ؟
غير اني لبثت ارقب رجعاً . . وعيوني الى السراب الخؤون

القاهرة **كمال نشأت**

شفـاه محـترقـة . !

مهداة الى نزار قباني

•

يا جمرتين .. في فمي هما .. هما جهنمي
فوقها هويـت .. كالفراش فوق الحمم !
ماذا ؟ ! انتحار ؟ ! مأتم ؟ ! يا ما ألذ مأتمي
لا تحرميني من خطايا ثغرك المضطرم
لا تحرميني النار .. فالغرام ان لا تحرمي !
ماذا يقول الناس لو حرقت فيك مبسمي ؟ !
ابن الهوى حيـاته ضحية التأثم ...

وارتعشت ليلاي في شبه انطلاق مبهم !
واغرورقت في لجة من الحيـاء الملهم ..
يا ثغرها .. بعد الحرام ، نجمة في الانجم !
بركان احلام يضج بالشبـاب المضرم ! !
يا جمرتين !! في فمي هما ! هما ! جهنمي ..

الطيبة - فلسطين **عنا جاسر**

تحـد

•

عذبيني ، وامعني في عذابي يا ليـالي !! فلن اخون شبـابي
انا كالطير ، ما مررت بروض ، دون شدو ، ولا مررت بغاب
انا كالنحل ، ما مررت بزهر ، دون لثم .. وقبلة .. واغتصاب
موسمي — الآن — فرحة وانطلاق ، وافتتان الطيور ، ملء الروابي
انا !! ان عشت ؟؟ لن اعيش بخيلاً بالشباب اللعوب ، او بالتصابي
كلما لاح ، للخيال جمال همت .. خلف الجمال ، غض الاهاب
مركبي الحب ، والمجون .. ودربي .. من بقايا الشفاه . والاكواب
عذبيني ، فلن تري غير هزئي ، ومجوني ، وسكرتي ، ودعابي
وانطلاقي . مع الرفاق ولهوي ، كل حان ، دخلته ، مع صحابي
وتري ، شد ، من شرايين قلبي ، من خيوط الخيال ، من اعصابي

عذبيني ، وحطمي ، يا ليالي !! هشميني ، بكل ظفر ، وناب
حمليني ، من المصائب دنيا .. انا ، التذ .. غارقاً في مصابي
انا !! — كالطود — شامخ ، لا ابالي ، كل بؤس ، يمر بي كالضباب
انا !! دنيا نعيمها ، وشقاها ، بسمة الفجر .. واكتئاب الغياب
عذبيني ، .. وآلمي ، يا لياليي ، يورق المجد .. في حقول ، العذاب

طرابلس **محمود عبسى**

مكتبة الاديب

تاريخ الشعوب الاسلامية

لكارل بروكلمان — ترجمة الدكتور نبيه امين فارس ومنير البعلبكي
خمسة اجزاء — دار العلم للملايين — بيروت

أنشأ العرب تاريخاً ضخماً استمر مئات السنين، واقاموا حضارة ازدهرت في الشرقين الاوسط والادنى واقطار من افريقيا واوربا، وكيفت حياة شعوبها، وطبعتهم بطابعها الخاص الذي ما زالت آثارها اليوم واضحة المعالم. على ان العرب لم ينشئوا هذا التاريخ العظيم وحدهم، بل شاركتهم في صنعه شعوب عديدة، كالفرس والترك والعبر والهنود والصقالبة والمغول ومن اليهم، اعتنقت الاسلام، واهتدت بنوره، وجاهدت في سبيل اذاعته. وقد الف المؤرخون القدامى والمحدثون، من عرب وغير عرب، المؤلفات الضخمة في هذا التاريخ. ولكن اعمالهم جميعاً كانت تنقصها وحدة البناء، والنظرة الشاملة، والاحاطة التامة بجميع تواريخ هذه الشعوب والامم التي تعاونت على بناء التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية الزاهرة.

والحق ان كتابة تاريخ شامل للشعوب الاسلامية جميعاً، وما انشأت من دول واقامت من حضارة، يحتاج الى جهد جبار صبور، وثقافة موسوعية، واحاطة بلغات عديدة، مما ينوء به جماعات العلماء المتخصصين بله الشخص المفرد. ولكن المستشرق الالماني الكبير الاستاذ كارل بروكلمان، المعروف في عالم الاستشراق بدراساته الرائعة في التاريخ الاسلامي، وكتابه الفريد في الادب العربي، اعد نفسه لهذه المهمة الشاقة المجيدة، فاخرج عام ١٩٣٩ «تاريخ الشعوب الاسلامية» باللغة الالمانية، فسد به هذا النقص الذي كان يشعر به طلاب الدراسات الاسلامية، وخدم تاريخ الاسلام خدمة يستحق عليها الشكر الجميل.

قسم الاستاذ بروكلمان كتابه الى خمسة اقسام. تناول في القسم الاول العرب قبل الاسلام، فأرخ لقبائلهم ودولهم وحضارتهم وعرض بالتفصيل لحياة الرسول العربي واعماله، ثم تكلم عن عصر الخلفاء الراشدين وما جرى فيه من فتوح، وما اقيم فيه من انظمة لتوطيد الحكم العربي واقرار آساس الدولة الاسلامية. وانهى هذا القسم بالدولة الاموية فذكر ما جرى فيها من فتوح، وما حدث فيها من فتن وثورات، ووصف حضارة الامويين وثقافتهم.

وتناول في القسم الثاني، وهو اوسع اجزاء الكتاب، العصر العباسي. فوصف اعمال الخلفاء البارزين، وارخ لجميع الدول التي انفصلت عن مركز الخلافة، وذكر الحركات الاجتماعية والسياسية والدينية والفكرية. وكتب عن الحروب الصليبية، ودولة المماليك، وتخريب التتر والمغول للخلافة العباسية، وما انشأوا من حضارة زاهرة في فارس وتركستان فيما بعد. وهو اثناء عرضه الرائع هذا للتاريخ الاسلامي في العصر العباسي يتتبع الحضارة والثقافة، فيؤرخ للعلماء والفقهاء والفنانين، ويصف ما خلفه المسلمون من آثار خالدة في العمارة.

وتناول في القسم الثالث تاريخ الاتراك العثمانيين. فكتب عن اصل الاتراك ونشوء دولتهم. وتتبع نمو هذه الدولة منذ ان كانت ولاية صغيرة تابعة للسلاجقة في الاناضول الى ان اصبحت امبراطورية واسعة الارجاء تسيطر على البلاد العربية والبلقان وشمالي افريقيا باسره. ووصف باسهاب حضارة هذه الدولة وثقافتها ونظمها الادارية والاقتصادية والعسكرية، ثم اتى على نشوء الدولة الفارسية، الصفوية، فذكر معالم تاريخها وحضارتها، وما قام بينها وبين الدولة العثمانية من خصومات وحروب.

الروماتزم. وتقول النشرة ان بريطانيا في طليعة البلدان بميدان جراحة القلب. وقد ذهب الطبيب الجراح المذكور الى الولايات المتحدة اخيرا للقيام بعمليات امام الجراحين الاميركيين وتضيف اخيرا ان ١٠ بالمئة من المصابين بالامراض يشكون من تقلص الشرايين.

• اذيع ان الولايات المتحدة الاميركية قد اخترعت قنابل ذرية جديدة تستخدم في قذائف المدفعية على اختلاف انواعها كما تستخدم في طلقات المدافع الرشاشة والبندقيات الحربية المعروفة وبذلك تكون القوة الذرية الفتاكة اصبحت ميسورة للاستخدام في ميادين القتال بين الجنود المتحاربين بينما كان استخدامها مقتصرا فيما مضى على اعمال التدمير ودك المعاقل ومحو المدن الكبرى من الوجود وقد اوضح علماء الذرة الاميركيون انهم يعملون الآن على اتمام ما لديهم من مخترعات تقضي بتسيير القنابل الذرية بواسطة اللاسلكي الى جميع الاهداف.

وخصص القسم الرابع لتاريخ المسلمين في القرن التاسع عشر وقد اتى فيه على تاريخ الامبراطورية العثمانية في هذا القرن، ووصف حالة البلاد العربية، وما نشأ فيها من حركات وطنية ودينية واسهب القول في الحركة الوهابية. ثم تناول تاريخ شمال افريقية في هذه الحقبة، وارخ للسودان ولحركة المهدي، ووصف الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في فارس وافغانستان، والنهضة الثقافية في مصر وتركيا.

وتناول في القسم الخامس تاريخ العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر وتركيا وايران وافغانستان، منذ الحرب العالمية الاولى الى قبيل الحرب العالمية الثانية، فبحث علاقات هذه الاقطار بالاستعمار الانكليزي والفرنسي، ونضالها في سبيل التحرر والاستقلال، وما حققته من تقدم في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ان هذا الكتاب، الذي ذكرت بعض خطوطه الاساسية، مهم من نواح عدة. فهو قد تناول تاريخ الشعوب الاسلامية بأسرها فاتاح بذلك، لاول مرة، لطالب التاريخ الاسلامي ان ينظر الى هذا التاريخ نظرة فاحصة شاملة، تمكنه من ربط اجزائه المتباعدة، ومعرفة الصلات الحقيقية التي كانت قائمة بين منشئيه، والاطلاع على قوانين تطور المجتمع الاسلامي واسباب تقدمه وتأخره، والتعرف على ما قدم كل شعب من الشعوب الاسلامية الى هذا التاريخ من خدمات، وما اضاف الى كنز الحضارة الاسلامية من ثروة. وهو مهم لانه يفصل العلاقات الاقتصادية والفكرية والحربية التي كانت متصلة بين العالم الاسلامي والعالم الاوروبي المسيحي تفصيلاً حسناً، لا يتاح الا لمؤرخ أشرب روح العالمين وفهم دقائق الحياة فيهما. والاجزاء الثلاثة الاخيرة مفيدة للقارىء العربي بصورة خاصة لان تاريخ تركيا وايران وافغانستان وشمالي افريقيا والسودان، منذ انهيار الخلافة العباسية حتى وقتنا الحاضر، لم يبحث في المؤلفات العربية بحثاً وافياً مرضياً. وهو، الى كل ما تقدم، مهم لانه نتاج عالم اوربي، واسع الاطلاع، عميق الثقافة، متزه الغاية، فاصبح بامكان المثقفين العرب ان يتعرفوا على النهج العلمي في تدوين تاريخهم، ويطلعوا على نظرة الصفوة من المثقفين الاوربيين الى هذا التاريخ، وما يحدثه في نفوسهم وعقولهم من انطباعات.

ولكن هذا الكتاب على عظم قدره لا يخلو، برأيي، من هنات. منها هذا الايجاز الذي كاد يشيع في الكتاب باسره. فالمؤلف يعرض احياناً الحقائق عرضاً سريعاً مجرداً، كأنه يريد ان يعددها فحسب، وهو في اكثر الاحيان لا يهتم الا بالحوادث البارزة، ويترك التفاصيل الدقيقة المهمة، والشرح الموضح للاسباب، وهي ما يجعل كتب التاريخ حية الاسلوب، قريبة من متناول الافهام. ومنها اهمال حياة جماهير الشعب الاقتصادية والفكرية والاجتماعية، مع انه سمى كتابه في الالمانية: «تاريخ الشعوب والدول الاسلامية» والحقيقة ان هذه الناحية هي اخطر ما في الكتاب من نقص، اذ بدون ان ندرس حياة عامة الناس، وندرك دورهم في التاريخ، لا نستطيع ان نفهم المجتمع الاسلامي على حقيقته الواقعة. ومنها ما اورد في الكتاب من افكار خاطئة او سطحية، وخاصة في الجزء الاخير، وهي قليلة، ولعله انساق الى تسجيل هذه الآراء نتيجة لنقص المصادر، واغراض بعضها، وعدم اعتناء المثقفين العرب بتدوين تاريخهم الحديث تدويناً علمياً يحيط بنواحيه جميعاً.

نقل هذا الكتاب القيم الى اللغة العربية بخمسة اجزاء، ينتظم كل جزء منها احد اقسام الكتاب الخمسة، الاستاذ الدكتور نبيه امين فارس رئيس دائرة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية، والاديب اللبناني المعروف الاستاذ منير البعلبكي. وقامت بنشره دار العلم للملايين في بيروت. وقد صدر الجزء الخامس منه في الشهر المنصرم.

ليست الترجمة عملاً هيناً، فما هي ابدال كلمة افرنجية بكلمة عربية، ولا هي نقل العبارة نقلاً قاموسياً قلق البناء. بل هي جهد فكري عنيف يبذله المترجم لتفهم معاني المؤلف، وتشرب روحه، والتعبير عن هذه المعاني، والافصاح عن هذه الروح، بعبارات امينة في النقل عن الاصل، دقيقة المحافظة على اسرار الاعجاز في اللغة المترجم اليها. وهذه الترجمة التي خدم بها المترجمان الفكر العربي الحديث خدمة جليلة، وبذلا في سبيل تحقيقها ما بذلا من وقت ثمين، وجهد مثابر، انموذج للترجمة الدقيقة الرصينة. فهي امينة على النص، دقيقة التعبير، واضحة العبارة، رائعة الاسلوب. وقد بذل المترجمان الفاضلان اصدق الجهد في الرجوع الى المصادر العربية ونقل العبارات والمقتطفات التي اوردها المؤلف في كتابه عنها مباشرة، وفي ضبط الاعلام، وهي عديدة لا تحصى، بالشكل الكامل كما كانت ترد في المصادر العربية، وهذا مما اضطرهما الى الرجوع الى عشرات الكتب والبحث في شتى المصادر كما انهما اهتما بالتعليق على بعض آراء المؤلف التي خالف فيها المفهوم الشائع عند جمهور المؤرخين.

ما اردت بهذه الكلمة العابرة ان تكون مقالة انتقادية شاملة لهذا الكتاب، فهذا الكتاب القيم لا توفيه حقه مقالة واحدة، وانما اردت ان انبه الشباب المثقف الى ضرورة دراسته، وامعان النظر في حقائقه، لكي يقووا ايمانهم في هذه الايام السود، بحيوية الامة العربية خاصة والشعوب الاسلامية عامة، هذه الحيوية التي صنعت العجائب في عالم الحضارة والثقافة والفن. ولكي يضعوا ايديهم على اسباب الضعف في هذه الامة فيعملوا على محوها، والتخلص منها الى الابد.

جامعة بيروت الاميركية : **محمد توفيق حسين**
احد اساتذة التاريخ الاسلامي

ملائكة وشياطين

لعبد الوهاب البياتي - شعر - حجم متوسط - ورق صقيل - ١٢٨ صفحة
مطابع دار الكشاف - بيروت

منذ سنوات لم أكلف نفسي الكلام عن الشعر وكان آخر ما كتبته في هذا المجال قد ظهر في اعداد «الفكر الحديث» الاخيرة.

وقبل ايام وصلتني نسخة من ديوان شعر لشاب عراقي هو السيد عبد الوهاب البياتي مهداة لي. ولم يكن هذا الديوان هو الوحيد الذي وصلني من العراق في هذه الفترة التي تكون فيها المطبعة العراقية مشغولة باخراج الانتاج المعاصر الذي لم يكتف بها بل راح يبحث عن مطابع مصر كأقاصيص السيد شاكر خصباك (صراع) المطبوعة في مصر والتي اعتقد ان اخراجها كان اقبح ما انتجته المطابع، مما اضاع على القارىء متعة لها قيمتها. وكملائكة وشياطين المطبوع في مطبعة الكشاف ببيروت. فقد اطلعت على اشياء اخر اكثرها من الشعر وقليلها من النثر. وانا كلما لمست نفسي ثورة نفس اخرى اعترتها نشوة تهزها في الاعماق. انني اعتقد ان في العراق امكانيات ثقافية وفكرية قيمة. ولكنها كالوميض يدفنه الرماد، ولكن هذا العهد ليس بالذي يذري الرماد ليحصل على الوميض المتوهج انما العكس انه الذي يكيل الرماد فوق الرماد.. لكن هناك على رغم اولئك ذوي النفوس الخابية اعداء الفكر والانسانية العالية. هناك دائماً بعض الوميض الذي يشع ويتكاثر فلا يدع وجوداً للرماد. ولولا هذا لكنا في اي حال؟!

ومطبوعات جماعة الوقت الضائع، ليست الا اجابة — على اختصارها — لحاجات في نفوس اختلفت عليها الجماعة الفكرية وضياع الشخصية الادبية. قرأت منها «عبث» و«اوكار الليل» لصفاء الحيدري، من الشعر فرأيت فيها نفساً عراقياً محضاً. ولا انكر على الرغم من اعترافي بقوة الشاعرية ان فيهما لمحات مبعثرة من الفوضى اظنها ليست بعيدة عن روح شاعرها. وقرأت باعجاب وحب منها مجموعة السيد نزار سليم من القصص المسماة «اشياء تافهة» وهذه الاشياء التافهة التي يقدمها بمقدمة مرسومة بريشة فناننا الكبير الاستاذ جواد سليم لهي مفخرة الادب الناشىء في العراق الذي بدأ الآن يجد لنفسه السبيل الحقيقي الذي يوجهه الى الخلوص. واني لاجدني مندفعاً لتهنئة السيد نزار في مجموعته هذه التي فيها من الواقعية وصدق التعبير ما يدلنا على آت اغنى.

ثم ها أنذا إتسلم منذ قريب ديوان السيد عبد الوهاب البياتي المسمى (ملائكة وشياطين) فيزيد في نفسي ثقة ان قافلة الادب العراقي تسير رغم الظروف. الا ان كل هذا لا ينسيني انتاج شاعر عراقي له قيمة الشعر الرائق وفيه خلوص العاطفة النبيلة وعليه رواء الزمن السائر ولكنه يتكاثف اوراقاً تطويها الرفوف. ذلك هو شعر أديب العبارة الاستاذ انور خليل الذي اظنه الشاعر الذي لو لم تحاربه الايام العجاف بقساوة الناكر، لطلع علينا علماً بين رواد العاطفة والفكر.

ولو عدت الآن مرة اخرى الى «الملائكة والشياطين» فلكي اخوض معها معركة لا سمح الله لها ان تطول فأنا بين كثرتها وحيد لا سلاح لي سوى امسية ها انا اقضيها معها على الطابق الاول من (برج ايفل) استنير ببقايا تتضاءل من نور الشمس التي تتهاوى وتنعكس اياآتها على قوارب السين عند قدمي البرج.

سأكون قاسياً مع هذا الديوان بعض الشيء. فأما الغلاف، فضعيف الرسم، قبيح التنظيم، مزعج الالوان. اي فرق شاسع بينه وبين اخراج كتاب نزار سليم الجميل!

واول انطباع بدا لي بعد تتمة القراءة، هو ان الشاعر دفع كل ما لديه من شعر الى المطبعة دون اختيار ولا تأن، لذلك صار المستوى العام لشعر الديوان على صراط لا يستقيم! فهناك من القصائد ما لا انصح بطبعها لانها تنزل بالمستوى اما بقلة شاعريتها او بتكرار معانيها وكان الافضل ان تطبع مختارات من هذه القصائد تتسق فيما بينها وتنسجم في اتجاه موحد.

وقد دلني الديوان على ان شاعرنا البياتي يعرف اللغة العربية معرفة تيسر له التسلط في كثير من الاحيان على الالفاظ والكلمات المختلفة. الا ان هذا التمكن نفسه اوقع صاحبنا ببعض المبالغة في استعمالها وبحب تلك الالفاظ التي انساق الينا اكثرها من شعر

لبنان رقيقة ناعمة تحمل الاحساس الرهيف والعاطفة الرقيقة فهي في لبنان تولدت عند اولئك الذين حفرت آداب العرب في نفوسهم جداول من ذوق أدبي رفيع وفن ممتاز تسري كالسلسل على انغام ما ابدعها !.. ولكنها في العراق لم تحافظ على شخصيتها لان حماسة العراقي الطبيعية حشرتها في غير الجمل التي صيغت لها من قبل . فراحت عند شعراء العراق تزأر وتئز وتئن .. حتى الشعر الوطني في لبنان انطبع احياناً بالغناء والسيولة الناعمة . وحتى الشعر الغزلي في العراق انطبع بالحماسة والفخر والخشونة . وانا اعني الوجه العام ولا اقصد الكل فهناك شذوذ في كل مجالات الحياة .

وما آسف له حقاً اذن هو : ان السيد البياتي لم يستشر – كما يظهر – احداً من الشعراء او المتمكنين في الادب قبل طبع ديوانه، فلو فعل ولو احسن الاختيار اكثر مما فعل لكان للجيد من شعره ديوان يقال له بكل ثقة واعجاب (شعر) ذلك ان بين ابياته ما يستحق كل تقدير وذلك لان في نفسه روح شاعر :

واكفر بالورد والازاهير
واشرب دمعي على نخبها
أكاد اذوب أكاد اموت
على رقة الخيط من ثوبها

هذا تصوير شعري يتصاعد الى اجمل ما في الغزل. وفي تصاوير شاعرنا الاخرى التي اخرجها لنا في ديوانه سحر ينم عن نظرة الى الحياة كلها فلسفة قاتمة تنعكس في مرآة نفسه من اليأس الذي يشربه في اقداح المجتمع . وكأني أرى التشاؤم وشبحه الاسود حتى عندما يغني ويطرب .

اما قصيدة (بغداد) فما ادري كيف غلبني تذوقها حتى وجدتني وانا ارددها وأقف عندها معيداً معجباً . أترى هو بعدي عن بغداد وشوقي اليها !

... ودجلة العاشق ترنيمة
تشدو بها انسامك السارية
القمر الضاحك في حضنه
زنبقة فضية طافية
على سناه تستحم الرؤى
والخمر والندمان والقافيه ..

الا ان القسم الثاني من هذه القصيدة ينسى بغداد وما في بغداد ويعود بالشاعر الى ذكريات حبه .

قصيدة واحدة هي التي نالت عندي الدرجة الاولى بين قصائد الديوان وهي التي لا اثر للتكلف الشعري فيها هي قصيدة (الى ساهرة) من الشعر الحر الذي لا تقيده القافية ولا يثقله الوزن المستمر :

على شاطىء الوهم نامي
كمقبرة في الثلوج
ولا تسألي عن غرامي
ولا تسألي من يعوج ... الخ

***

ولا تجهشي بالبكاء
اذا ما السماء
اهالت عليكِ
رماد الرجوم
ففي مقلتيكِ
ضياء النجوم
يقود خطاي ... ويمحو أساي ...

***

أخاف عليكِ وممَ اخاف
وفي شفتيك زحيق زعاف
احس به في دمي كجوع رهيب
وانقذه من فمي في غناء رتيب ... الخ .

ولا اريد ان اكرر ما قلت ، واتمنى ان لا يكون شاعرنا ضيق الصدر بعد كلمتي هذه فلم اردها نقداً أقدم به رائعته الاولى الى القراء . انما هي رغبة عرضت لي وأنا اطالع شعره هنا في جانب ظريف من برج ايفل وأفكر بالادب العراقي الناشىء. واتمتع بالنسيم (الصحيح) لا العليل ، والوجوه الصباح .

باريس — جميل حمودي

سامبا

لنزار قباني – شعر – حجم صغير – ورق صقيل – ٢٩ صفحة
دار العلم للملايين – بيروت

اخي نزار .

تداعى الى ذهني وانا اتلقى (سامبا) هدية منك مشكورة قول احد النقاد ولعله « مالرب » ان الشاعر كالراقص «ففي هيمانهما تكمن الغاية وفي نقلتهما تتجلى الفكرة وكلاهما حبيس الوزن والنغم اما الناثر فكالسائر ؛ في انطلاقهما من الاسر ،وفي تراخي الغاية الى خلاصة البحث ونهاية الدرب . وقد يستشرف الراقص غايته في حركة وانحناءة دون ان يريم، ولا يتيسر ذلك للسائر .

وقد كان قصاراي ان أرى الى الرقص والشعر، وهما في قرَن

واحد في خاطري يتعانقان في قصيد ، حتى صافحت عيني قصيدتك الجديدة : سامبا .

والرقص فن يواكب الوزن ويتكئ على الحركة ويعتمد على الجسد ليدعه وحده في نقلته يتكلم ، وهو في قصيدتك سامبا يتسق في نقلة وانحناءة :

تلك سمبا
نقلة ثم انحناءة
فالمصابيح المضاءة
تصبى

وقد ينتظم في اربع خطوات ، كما انتظمت قصيدتك كلها في رباعيات :

جريها
خطوات اربعا
ابدا تمضي معا
وتليها

واقول لك الحق انني لا احب رقصة السامبا ولا اكلف باي رقصة تأخذ بمدرجتها في الاندفاع والهياج والجرأة بيد انني احببتها في قصيدتك لانك اضفت اليها ، على رضاعها من حليب افعى ، لوناً رقيقاً فسقيتها من اريج الاودية وشحوب الامسية :

وسقوها
من اريج الاودية
وشحوب الامسية
ما سقوها

وتتسلسل القصيدة مبتدئة بهذا المطلع الجميل :

غط قوسه
في شرايين الشفق
خشب القوس احترق
حين مسه

وتتناهى الى هذه الرباعية :

لو رقصنا
ليلنا حتى التلاشي
وحملنا
كجنازات الفراشي

واسلوبك في هذه القصيدة هو الاسلوب السهل ، ترفق من « قالت لي السمراء » « فطفولة نهد » في انسياب الحلم الحلو الذي يأبى ان ينتسخ . بيد ان القصيدة لا تخلو من الفاظ معادة ومعان مكررة مأخوذة من مجموعاتك الشعرية السابقة كقولك :

لا مفر
ليس تستطيع خلوصا
اكل النهد القميصا
فهو خمر

وهو تكرار لقولك :

ووراء الوراء ثمة خيط اكلت منه حلمة حمقاء

وقولك :

يا لنهد
ترق المنقار ابيض
مثل عصفور تنفض
بين ورد

وهو مأخوذ من وصفك حلمة الثدي في قولك .

يا مبسم العصفور يا ارجوحة العبير

والمعنى ، على اي حال مقتبس من قول بشر فارس :

واذنها ينهكها قرطها	وخدها بين يديها اسير
كأنه فرخ حمام هوى	وهم من ساعته ان يطير
فاربد غيظ طرف منقاره	وامتد يشكو الضنك رخو النذير

وانتهي من القصيدة ، فتثب الى ذهني صورة رائعة عن راقصة « فاليري » جلاها بريشته اللبقة في « الروح والرقص » وتتمثل لي غادتك تتاوى في القصيدة كثعبان كأن « فيدون » وهو يحاور « سقراط » قد عناها بقوله :

انها تبدو ، وفي قدميها الملهمتين ، كانها تمحو من الارض كل ونى وغفلة ، ها هي ذي تتخذ لها مكاناً يستشرف قليلاً اشاوي ارضها كأنها تسوى لها عشا بيديها البضتين، انها تتبدى لنا وقدماها تنسجان بساطاً فسيحاً من المشاعر . هاتان القدمان الحلوتان تلتقيان وتدفان كحمامتين . نفس هذه الفسحة من الارض تدعوهما الى العراك كأنهما تتقاتلان على حبة ، اواه ربة الشعر ، ليس ثمة اقدام، قد اثارت الرغبة في شفتي كهذه الاقدام .

برن - سويسرة بديع حقي

ظهر حديثاً

● الموسوعة الاجتماعية - العدد الاول - تصدرها باللغة العربية لجنة نشر الثقافة الاجتماعية يشرف على تحريرها علي حسني وابراهيم زكي خورشيد مدير التحرير محمود محمد شاكر - يشرف على ادارتها احمد الشنتاوي حجم كبير - ورق صقيل - ٩٧ صفحة - مطبعة مصر - الثمن ٢٥ قرشاً مصرياً - الاشتراك في المجلد وهو مؤلف من عشرة اعداد : ٢٠٠ قرش في مصر و٢٤٠ في خارجها - تطلب من مقر اللجنة ١٨٦ شارع الخديوي اسماعيل بالقاهرة ومن جميع المكتبات .

هي أكبر موسوعة اجتماعية تبحث جميع المشاكل العالمية. اعظم عمل علمي تضافرت عليه جهود العلماء في العالم. ينقلها الى العربية مختصون في العلوم والمسائل الاجتماعية تتناول إحدث النظم والآراء في السياسة والاقتصاد والاجتماع. تعالج شئون المجتمع الحديث ومشاكله تنير السبيل امام المصلحين في ميادين الخدمة الاجتماعية والتربيـة والتعلم والصحة والتعاون مرجع فريد في علوم النفس والاخلاق والفلسفة والقانون. ذخيرة في الفنون والآداب العالمية. مرآة لتاريخ المجتمع وتطور الانسانية

• ابن الاخ العم – تمثيلية هزلية – تأليف الشاعر الالماني شيلر وترجمة الدكتور امين رويحه – حجم صغير – ورق صقيل – ١٢٠ صفحة – المطبعة الهاشمية دمشق – قدم لها العقيد الدكتور عزة الطباع مدير صحة الجيش السوري – مع تعريف موفق رائع للمترجم عن شيلر وصلاته بالشاعر «جوته»

• الامام الصادق ملهم الكيمياء – للدكتور محمد يحيى الهاشمي – وسكينة بنت الحسين – لتوفيق الفكيكي – ورسالة الحقوق للامام زين العابدين لعبد الهادي المختار – هذه الكتب صدرت في «حديث الشهر» وهي سلسلة كتب تربط بين الماضي والحاضر وتمزج بين القديم والحديث وتعالج شتى المواضيع بأقلام حرة تمثل الادب الحي الرفيع والرأي المجرد الحر – يصدرها في الكاظمية – بغداد عبد الامير السبيتي باشراف جماعة من اعلام المفكرين.

• طعام النار – قصة شعرية – لطه العبيدي – حجم صغير – ورق صقيل – ٥٢ صفحة – مطبعة النجاح – بغداد.

• مداد اليراع – لفاضل جودي الحلي – كراس ١٦ صفحة – بغداد.

• صرعى – مجموعة قصص – لمحمود محمد الحبيب – قدم لها الاستاذ علي الخاقاني صاحب مجلة البيان – حجم متوسط – ١٧٣ صفحة – منشورات دار البيان – مطبعة الغري – النجف العراق.

• الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية – لمحمد الباقر الجلالي حجم متوسط – ١٩٠ صفحة – مطبعة الزهراء – النجف.

• العرب والتطاحن الدولي – الزعيم الركن المتقاعد توفيق حسين حجم متوسط – ١٠٤ صفحات – وهو العدد الاول من السلسلة السياسية للمشاكل العالمية التي تصدرها دار منشورات البصري ببغداد.

• بولس سلامة – المهرجان الذي اقيم له – اقوال ادباء العرب في شعره مختارات من شعره – حجم متوسط – ٢٤٠ صفحة – صدر عن مطبعة الاتقان ونشرته مكتبة المعارف – بيروت

• كوبيد اله الحب – نظرات سيكولوجية في الحب والحياة – لجبران جبور – حجم صغير – ورق صقيل – ٦٢ صفحة – بيروت

• ليل الصب – قصيدة ابو الحسن الحصري القيرواني – عارضها نعمان ماهر – انور شاؤل – كمال عثمان – عبد الرزاق محيي الدين – وقدم لها الاستاذ رفائيل بطي – حجم كبير – ورق صقيل – اخراج رائع – ٨ صفحات مع صورة القيرواني كما تخيلها الرسام روى – طبع واخراج شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد.

• آكنسوس – ابو جعفر بن عطية – ابو العباس الجراوي – للعلامة عبدالله جنون الحسني مدير معهد مولاي الحسن – صدرت في سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب – حجم كبير – ورق فاخر – طباعة متقنة – كل جزء في ٣٤ صفحة – منشورات معهد مولاي الحسن – تطوان – مراكش

• بنو عباد باشبيلية – لعبد السلام احمد الطود – قدم له الاستاذ عبدالله جنون – حجم متوسط – ورق صقيل – ٣٠٠ صفحة – منشورات معهد مولاي الحسن – تطوان مراكش.

• زهرة في خريف – شعر – لابراهيم عوبديا – حجم كبير – ورق صقيل – ١٦٠ صفحة – مطبعة الرشيد – بغداد.

• شرح ديوان السيد حيدر الحلي – لصالح الجعفري مدرس الادب العربي في ثانوية النجف – الجزء الاول من ثلاثة اجزاء – حجم كبير – ورق صقيل – ١٨٥ صفحة – منشورات مطبعة الزهراء في النجف العراق.

• يأجوج ومأجوج – ديوان شعر زجلي نفساني مصور – لمنير الياس وهيبة مجاز في علم النفس وعضو جمعية المباحث الروحية والنفسية الدولية حجم كبير – ورق صقيل – ١٣٥ صفحة – مطابع جوزف سليم صيقلي – بيروت

• Progressive Crossword Puzzles — Part One & Two Compiled by Selim Hakim and D.C. Miller--Oxford progressive English — Oxford University Press — London

من زوايا التاريخ الافريقي

غينيا الفرنسية

مسرح السحر والشعوذة

●

ربع مليون ونيف من الكيلومترات المربعة لا تأهل الا بمليونين وقليل من السكان وبالملايين من القردة والوحوش ، سلسلة من جبال ، وغابات بكر ، وجحيم من نار ، متصاعد لهبه من بطن الارض الى حيث يلتقي بلهيب شمسي محرق فيؤلف هذا اللهيب وذاك اللهب جواً قلّ ما نزلت حرارته عن الثلاثين من الدرجات ، تلك غينيا الفرنسية ، هذا القسم من العالم الافريقي الاسود ، وهذا الوطن الذي اتخذته لي بعد لبناني الجميل مقراً.

وغينيا الفرنسية هي قلب افريقيا الغربية النابض ، وهمزة الوصل بين كثير من المقاطعات. فغينيا البرتغالية والسودان والسنغال تجاورها جميعها من الشمال ، ومن الشرق يتصل بها الشاطىء العاجي.

وتمتد اراضيها جنوباً حتى ليبيريا وسيراليون وغرباً عند اقدامها تتكسر امواج المحيط الاطلسي .. هذا ، ولا تختلف غينيا الفرنسية بطبيعتها ومشاهدها عن سائر جاراتها تلك ، ففي افريقيا الفرنسية من ادناها الى اقصاها — اللهم ما عدا المدن التي اوجدت فيها اليد البيضاء صبغة مدنية حديثة — أنى القيت الطرف ، واينما حللت ، لا يقع بصرك الا على مجاهل وادغال ، وصحار وبيد ، وبيوت من طين انتشرت هنا وهناك على بعضها ، بتكأكؤ وغير نظام ، لبست سطوحها (برانيط) من قش تذود عنها غزو الحر والمطر ، واناساً عراة ونصف عراة سود اللون نالت من اقدامهم الحجارة والاشواك ، واكلتهم الاوساخ والغبائر. لا همّ لهم سوى ملء بطونهم واحياء دورات الرقص والاهازيج . . . غير ان موضع غينيا الفرنسية الجغرافي هذا جعل منها مسرحاً لجميع التقاليد والعادات التي نشأت عند كل من جاراتها ، والتي كانت وليدة الاوهام والخرافات ، والتي عنها آليت على نفسي ان اقدم لك يا اخي القارىء الكريم احاديث واقاصيص ، منها المدهش الغريب ومنها المضحك العجيب ، ومنها ما يلذ ويطيب ، ومنها ما يخيف ويرعب ، ومنها ما هو عن الحقيقة والواقع ببعيد . فذينة الاعوام او نيف التي قطعتها من عمري ههنا ، بين هؤلاء السود وقبالة مجاهل وادغال قد طبعت وربك في مخيلتي اغرب الصور وادهش الذكريات . . .



احياء حفلات الرقص والاهازيج



منظر من مناظر الطبيعة الساحرة على الشاطىء



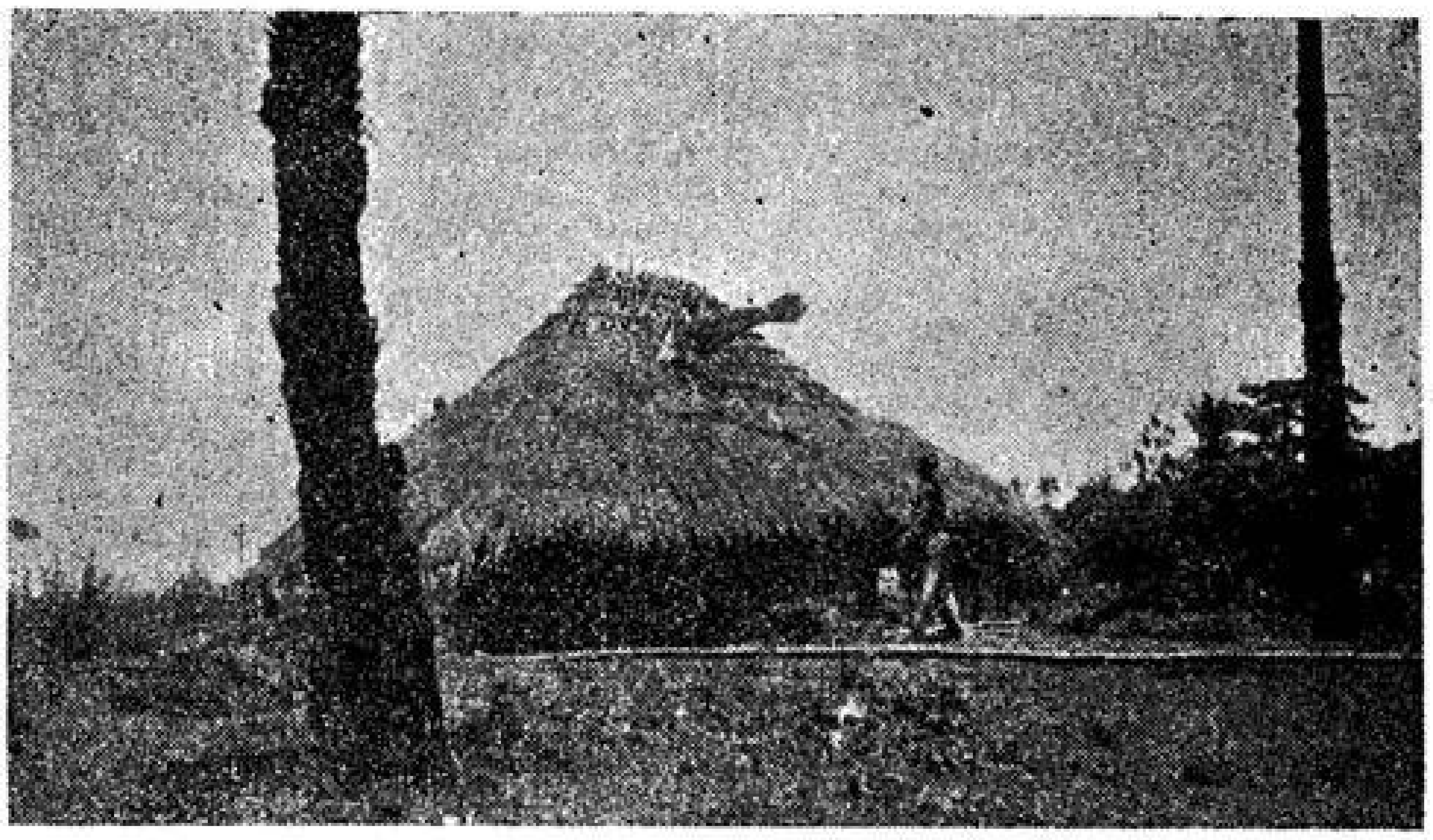
بيوت الزنوج

هنا

لقد اتت على هذا العالم الافريقي الاسود احايين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً بل كان منقطع الصلة بغيره من العوالم ، قادمه مردود وداخله مفقود ، والقرن ونصف قرن خلا ، كان يجر حياة القدم : قبائل قبائل ، يعاني ازمة جاهلية عديم التفكير ضعيف العقلية ، غير قادر على تفهم الامور الجارية في حياته ، الطبيعية منها وغير الطبيعية . بل كان ازاءها كالخابط في عشواء . لا يدري اين تسير به قدماه ، وكالسائر في البيداء وقد الم به العطش ، فراح يعدو ذات اليمين وذات الشمال ، مفتشاً عن ماء او شراب .. وهكذا ، فالحياة .. والمرض .. والموت .. احداث ثلاثة غريبة عن ما يعلم ، وامور ثلاثة بعيدة عن مايدرك . وهذا ماجر جماعات منه الى البروز ، جماعات أنست بما عندها من قوة وما عند ابناء جلدتها من غباوة ، فراحت تحلل الامور الجارية كما تريد ، او كما املت عليها عقلياتها الغير الناضجة بعد ، فادعت اتصالها بالآلهة والاشباح (الجن) ، وراحت تبشر بالهين متعادلي القوة يعملان معاً في اعلى السموات ، متجسدين في كل منظر من مناظر هذه الطبيعة .. الاول ، اله الخير وبه تناط امور الحياة والسعادة والهناءة ، فهذه نعم يسبغها على

البيوت المنتشرة في وسط الغابات





بيت في طريق البناء

كل قبيلة تتسمى باسم احد الوحوش ، فحملت هذه اسم النمر وتلك اسم الضبع ،وهاتيك اسم التمساح وغير ذلك كثير ، ولا تزال القبائل السوداء تحمل هذه الاسماء حتى يومنا هذا .

هكذا برزت في افريقيا جماعات السحرة والمشعوذين ، لقد برزت كما تبرز ائمة الفلاسفة في كل امة ، والاسباب التي ذكرت عن غينيا الفرنسية نالت كل مخلوق رضيت عنه تلك الجماعات ، والثاني اله الشر وبه تناط امور القصاص والعذاب فمن اذنب وكان ذنبه مغفوراً الم به مرض حتى يكفر عن ذلك الذنب ، ومن كان ذنبه لا يغتفر فذلك جزاؤه الموت لا محالة . .ولم تكتف تلك الجماعات بنشر هذه الاوهام والخرافات ، انما راحت توهم ابناء جلدتها انهم جميعاً انحدروا من اصل حيواني . وهكذا اخذت



البيوت المنتشرة في الغابات

من المناظر الخلابة على شواطىء غينيا



هذه المقاطعة القسط الاكبر من افراد تلك الجماعات التي لا يزال لها تأثير في نفوس الافريقيين رغم ما تبذله اليد البيضاء من جهود في محاربتها . . هذا ، واقتصر الآن الحديث .آملا ان اتيك عما قريب بحكاية « ميمونا » الساحرة او آكلة الاطفال . . والى اللقاء في الاعداد المقبلة ان شاء الله .

غينيا الفرنسية — يوسف ابو خليل

أنباء العالم في شهر

٢٥ مايو ١٩٥٠ – اصدرت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بلاغاً مشتركاً اكدت فيه استعدادها لمد الدول العربية واسرائيل بالاسلحة بعد ان تعهد الفريقان بانها لن يقوما باعمال عدائية ضد بعضها وفي البلاغ انذار صريح بان الدول الثلاث تتدخل فورا عند وقوع نزاع في الشرق الاوسط بين دوله .

٢٦ – قررت الحكومة البلجيكية الاشتراك في المفاوضات حول مشروع شومان لتوحيد موارد الصلب والفحم .

– بعث المفوضون الساميون الغربيون الى الجنرال تشيكوف القائد السوفياتي لالمانيا الشرقية يقترحون اتخاذ عدة تدابير لتحقيق وحدة المانيا الاقتصادية والسياسية .

٢٧ – بدأت الشبيبة الالمانية الحرة في شرقي برلين تجمعاتها واعلنت حالة الطوارىء بين قوات الدول الثلاث الغربية في برلين تحسباً لزحف الالمان الموعود في يوم العنصرة غداً .

– اختطف ثلاثة شرطيين من القطاع السوفياتي في برلين المدرس مويتز من القطاع الاميركي واطلقوا النار على البوليس الغربي .

٢٨ – تظاهر في المنطقة الشرقية من برلين نصف مليون شاب الماني شيوعي والقيت الخطب الحماسية بطلب اخراج الدول الغربية من المانيا لتتحد البلاد تحت الادارة الشيوعية وانقضى اليوم بسلام ولم يحصل الزحف المنتظر على غربي برلين .

٢٩ – قدم السيد خالد العظم رئيس الوزارة السورية استقالته الى رئيس الدولة السيد هاشم الاتاسي .

٣٠ – درس الرئيس ترومان واتشيسون ناظر الخارجية الاميركية مذكرة تريغفلي الامين العام للامم المتحدة التي تتضمن برنامجاً للسلام العالمي مؤلفاً من عشر نقاط وكان تريغفلي عرض هذا البرنامج الموضوع لمدة ٢٠ سنة على ستالين وشومان وبيفن .

اول يونيو ١٩٥٠ – قدمت روسيا مذكرة جديدة الى امريكا ترغب فيها الجواب على المذكرة الاولى التي طالبت بها اعتبار الامبراطور الياباني هيروهيتو مجرم حرب .

٢ – صرح الرئيس ترومان بانه لا يتخوف من وقوع حرب عالمية في غضون السنوات الخمس القادمة .

٣ – قام المارشال سليم قائد القوات البريطانية بالطائرة من لندن في رحلة الى مصر والشرق الاقصى وقد صرح بانه سيتباحث مع ولاة الشأن المصريين بالقضايا الدفاعية .

٤ – الف الدكتور ناظم القدسي الوزارة السورية وهي وزارة انتقالية مؤقتة لاقرار الدستور سريعاً .

٥ – اعلنت النتائج الانتخابية في بلجيكا فنال الاكثرية حزب الملك ليوبولد « الاجتماعيون المسيحيون » .

– صرح ابراهيم فرج وزير الدولة المصري ان اجتماعاً مهماً للغاية جرى بين المارشال سليم والجانب المصري بحث فيه الموقف العسكري والسياسي .

٦ – استقالت الوزارة البلجيكية الانتقالية .

٧ – وجه تريغفلي الامين العام لمنظمة الامم المتحدة مذكرة الى الدول الاعضاء تضم مقترحات لحفظ السلام في العالم لعشرين عاماً وقد حمل الدول الكبرى تبعة خلق جو مثقل بالشكوك واقترح دعوة مجلس الامن الى عقد اجتماعات دورية وانشاء قوة دولية لوقف الاضطرابات وانه يجب استخدام الامم المتحدة لتحرير الشعوب سلمياً .

٩ – هاجم الرئيس ترومان الاتحاد السوفياتي بعنف واتهمه بالتأهب لشن حرب عدوانية جديدة .

١٠ – رفضت الدول الغربية المقترحات السوفياتية لاجراء الانتخابات في مناطق برلين الاربعة .

١٢ – نشرت الصحف المصرية نص مذكرتين تبودلتا بين لندن والقاهرة قبل زيارة المارشال سليم رئيس اركان الحرب الامبراطوري لمصر . وتضم المذكرة البريطانية قضايا خطيرة للغاية منها : ان الحكومة البريطانية ما زالت تصر على ان التقارير التي تردها تؤكد وقوع الحرب قبل الصيف المقبل وان جميع الدول الديموقراطية تعمل على هذا الاساس .

وكانت الصحف المصرية قد نشرت شيئاً عما دار من محادثات بين المارشال سليم وبين الفريق حيدر القائد العام المصري نسبت فيه الى المارشال تأكيدات تطابق الوارد في المذكرة البريطانية .

١٣ – اصدرت الحكومة السويسرية تعليمات الى الاهالي تطلب منهم ضرورة الاقتصاد في المواد الغذائية وتخزين ما امكن استعدادا لمواجهة حرب عالمية مقبلة . وكانت الحكومة المصرية منذ بضعة ايام قد اتخذت بواسطة وزارة الاقتصاد تدابير مماثلة للاسباب ذاتها .

١٤ – قدم اوزانيه زفاريف وزير المالية السوفياتية مشروع قانون الى البرلمان يطلب اعتماد ٢٠ مليون دولار للتسلح معلناً ان ٦٨ بالمئة من الميزانية الاميركية تصرف للانشاءات العسكرية .

١٥ – سلم سفراء الدول الغربية مذكرة الى وزير الخارجية السوفياتية يعلنونه ان حكوماتهم تنوي ان تعين مفوضين ساميين في النمسا بدل المفوضين العسكريين .

١٦ – عقد مندوبون عن عشر من دول غربي اوربا اجتماعاً سرياً في لندن للتباحث في مشروع شومن حول دمج الصناعات الاوروبية الرئيسية .

١٧ – وقعت خمس من الدول العربية خلال الجلسة الاخيرة التي عقدها مجلس الجامعة العربية في الاسكندرية ميثاق الضمان الجماعي والتعاون الاقتصادي وامتنع العراق عن التوقيع لارتباطه بمحالفة عسكرية مع الاردن الذي لم يكن ممثلاً في الاجتماع .

١٩ – تظاهر بالاسكندرية زهاء الف عامل من عمال النسيج مطالبين برفع الاجور ورجموا مخفر الشرطة بالحجارة .

٢٠ – اتهمت جريدة بوربا اليوغوسلافية شبه الرسمية، الدول الغربية بالتلاعب بقضية تريستا مدافعة عن الاتحاد السوفياتي .

٢١ – اعلن وزير خارجية كندا بان مصلحتها تقضي ببقائها عضواً مستقلاً في الكومنولث البريطاني وانها لا تفكر بالاتحاد مع الولايات المتحدة الاميركية رغم العلاقات الوثيقة بينها .

٢٢ – صرح مندوب العراق في هيئة الامم : اذا لم تسو هيأة الامم قضية القدس فالبلدان العربية تفكر باحالتها الى مجلس الامن .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٢ – ٦٨